[illegible] عربي

حاشية تفسير سورة يس
على تفسير القاضي

حاشية على البيضاوي
في سورة يس نسخ ١٣

١

تفسير يس

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان محمود خان وقفا
صحيحا شرعيا لمن طالع وتأمل أكرمه الله
تعالى بالزلفى والحسنى
حرره العبد الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل علينا القرآن مبدأ للسعادات
الدنيوية والاخروية وجعله تبيانا للمراتب
الجنية والانسية وكاشفا لحال السالكين
الى جناب العلوية والسفلية ومبينا مقاماتهم
من القربية والبعدية وارسل الينا رسولا
خاتم الانبياء رفيع اللواء مشرفا بالاسراء
مكرما بالاصطفاء اللهم صل عليه عدد
نجوم السماء ورمال الدهنا وعلى آله النجباء
واصحابه الكرما واجعلنا من متبعيهم والذين
من بعدهم من العلماء الذين صاروا ائمة للاقتداء
ولا تجعلنا من الاغبياء انك سميع الدعا ونشهد

ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد
ان محمدا عبده ورسوله وبعد فلما طالعت
بالجهد وصرف المهم بقدر الامكان في سورة
يس تفسير القاضي تغمده الله بغفرانه وجعل
مثواه في اعلى جنانه لاح الى الخاطر الفاتر
في بعض المواضع حلا باعثا ونثر كلام بعض الفضلاء
رحمهم الله اردت ان اكتب فيه اوراقا محتوية
على الفوايد بعضها غير مسمع ولا مبصر الى هذا
الزمان لخدمة السلطان الاعظم والخاقان المعظم
مالك رقاب الامم حامي بلاد العرب والعجم
مظهر الشرايع والايمان هادم الكفر والطغيان
ناصر الايتام والضعفاء معين الارامل والفقراء
مزل الاسفل السافلين في دوره قدر اهل الجور

والظالمين ورفع الى على العليين مرتبة اهل
العدل والصالحين هبط الى الحضيض مقام الفساق
والجهلاء وصعد اوج السماء منازل الصلحاء
والعلماء والى لواء الولاية في الافاق
مالك سرير الخلافة بالاستحقاق
السلطان ابن السلطان سليمان خان بن سلطان سليم خان
لازالت الممالك مضيئة باضواء عدله ومابرح
الافاق مشرقة بانوار رأفته فهو الذى مهد
بساط العناية نحو حماية الاسلام ونشر على العالمين
بحار الجود ودرر الانعام وميز من بينهم العارفين
بمزيد الاحسان والاكرام وأتوقع من الله
ان ينظر اليها بعين القبول والرضا لا بعين الرد
والجفا واطلب منه التوفيق والاخلاص

والاستغراق فى بحر التوحيد والاختصاص وارجو
منه ان لا يتحرك عضو من اعضائى وعرق من عروقى
وشعر من شعراتى الا بالله وبالله ولا يخطر ببالنا
الا الله وهو وليه وقادر عليه فعليه توكلت واليه انيب
يس ان الحروف التهجى انما يذكر فى اوايل السور تنبيها
على دليل اعجاز القرآن فى اول الكلام وهو ان القرآن
المتلو عليهم كلام منظوم مما ينتظمون منه كلامهم
فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن الاتيان بمثله
فى حال اجتماع اولهم وآخرهم للتعاون فى اتيان المثل
مع قوة فصاحتهم وقيل هى اسماء السور وعليه
اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة
التركيب فلو لم يكن وحيا من الله لم يتساقط قدرتهم
عند معارضتها وقيل انها اسماء القرآن ولذلك

اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى
ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص
يا حم عسق وكانه اراد يا منزلهما وقيل انها ستر استاثره الله
بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة
ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد
قيل اقسم بالصفتين الدالتين على كمال استعداده
والقرآن الحكيم الذي هو كماله التام اللائق باستعداده
على انه بسبب هذه الامور لمن المرسلين على طريق التوحيد
الموصوف بالاستقامة وذلك لان ي اشارة الى اسمه الولي
وس الى اسم السلام اي اقسم بالذي وفي سلامة فطرتك
السالم عن النقص في الازل عن آفات حجب النشاة والعادة
والسلام الذي هو عينها واصلها بالقرآن الحكيم الذي هو

صورة كماله الجامع لجميع الكمالات المشتمل على
جميع الحكم انك بسبب هذه الثلثة لمن المرسلين قيل
الياء يشير الى يوم الميثاق والسين يشير الى سره مع الاحباب
فقال بحق يوم الميثاق وسري مع الاحباب وبالقرآن الحكيم
انك لمن المرسلين يا محمد وقيل معنى ياسين يا انسان
لان تصغيره انيسين وكانه حذف منه الصدر واخذ
والقرآن الحكيم
العجز لما كان القرآن مشتملا على حكم كثيرة وفوايد عميمة
فكانه نطق الحكم والفوايد فاطلق عليه الحكيم للمبالغة
كالحي المتكلم انك لمن المرسلين فان قيل الكفار انكروا
كونه مرسلا والمطالب يثبت بالدليل لا بالقسم قلنا
العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة ويقولون انها
توجب خراب العالم فصحح النبي صلى الله عليه وسلم اليمين
الفاجرة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون يصيبك

من آلهتنا عذاب وكان النبي عليه السلام يحلف بامر الله
وأوّل كلامه عليه باشياء مختلفة التي وقعت في اوايل
السور وما كان يصيبه عذاب بل كان شانه كل يوم ارفع
ومكانه اشرف وذلك يوجب اعتقاد صدقه وايضا فالمتناظران
اذا تمشي دليل احدهما يقول المغلوب انا اقررت بقوة
جدالك وانت تعلم ان الحق معي وان كنت عاجزا عن القدح
في دليلك فالخصم ان ذكر دليلا آخر عارضه المغلوب بكلامه
الاول فلا طريق الا اليمين فيقول والله اني لست
مكابرا والحق معي ولو علمت خلافه لرجعت فكذا النبي
صلى الله عليه وسلم لما اقام البراهين قالوا ما هذا الا رجل
يريد ان يصدكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر
فتعين التمسك باليمين لعدم افادة الدليل او نقول
هو دليل خرج في صورة اليمين لان القرآن معجز

ودليل الارسال المعجزة قيل فلم لم يذكر في صورة
الدليل قلنا لانه لا يقبل عليه سامع واليمين لا يقع
الا على امر عظيم يتوفر الدواعي على الاصغاء اليه
فان قيل كون القرآن حكيما موقوف لكون محمد
رسولا فلهم ان يقولوا هذا ليس بقسم قلنا القرآن
معجزة وان انكروه قلنا فاتوا بسورة من مثله وايضا
فالعاقل لا يثق بيمين غيره الا اذا حلف بما يعتقد
بعظمته فالكافر لو حلف بمحمد عم لا يصدقه كما
لو حلف بالصليب ومعلوم ان النبي عليه السلام
واصحابه كانوا يعظمون القرآن فحلفه به يوجب
ثقتهم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر لما كان
الدين وهو التوحيد والاستقامة في الامور اقرب
ما يوصل الى الله فانه توجه الى الله وتولى عن غير الله

ناسب ان يقيد رسالة النبي صلى الله عليه وسلم به

ويقال ايضا ان اقرب الطرق صراط مستقيم فاطلق

على دين محمد صلى الله عليه وسلم صراط مستقيم بهذه

المناسبة والمشابهة وليس المعنى انك منهم على الصراط

المستقيم لان جميع المرسلين على صراط مستقيم وانما

المقصود كونه على صراط مستقيم عليه المرسلون وفيه

دفع فساد قول المباحية ان المكلف يصل الى حيث

لا يبقى عليه تكليف لانه بين ان المرسلين ما داموا في الدنيا

فهم سالكون للطريق المستقيم فكيف ذلك الجاهل وجه

الدوام ان المرسل مرسل ما لم يرجع الى المرسل فيكون

الرسول لا يخلو عن الرسالة ما دام في الدنيا وهي المرسل

فيها ولما كانت الرسالة على صراط مستقيم غير منفك عنها

فيكون النبي عم ما دام في الدنيا يجب عليه ان يكون

على صراط مستقيم اي على دين مستقيم وعمل مستقيم تنزيل

العزيز الرحيم قرا بالجر بدلا عن القرآن وبالنصب

على انه مصدر فعل منوي اي نزل تنزيل العزيز والتقدير

نزل القرآن او الكتاب وهو مفعول اعني على ما الغتان

جار الله وقرا بالرفع اي هذا تنزيل العزيز او هو

مبتدا خبره لتنذر فان تنزيل العزيز للانذار

والعزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا ارسل

رسولا الى قوم فاما ان يخالفوا المرسل ويهينوا

المرسل والعزيز ينتقم منهم او يخافوا المرسل ويكرموا

المرسل فيرحمهم الملك وقيل المرسل يكون معه

منع واطلاق فالمنع بالعزة والاطلاق بالرحمة

لتنذر قوما ما انذر آباءهم فهم غافلون فان قيل

ان النبي صلى الله عليه السلام ارسل للبشارة

والانذار معًا فلم خصص بالانذار قلنا انه عم
ارسل لانذار الكافر وبشارة المومن ولما كان القريش
كلهم عبدة الاصنام كافرين وجب انذارهم اولا
فان اسلم بعضهم بالانذار يجب بشارتهم فلهذا قال
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره
بمغفرة واجر كريم فان عدت وقلت يمكن ان يكون
البشارة والانذار للكافر على طريق الترغيب والترهيب
بان يقال ان اسلمتم فلكم الجنة وان كنتم مصرًا
على كفركم فدخلتم النار خالدين ابدا يمكن ان
يجاب عنه بوجهين الاول اختار الله تعالى في هذا
المقام طريق الانذار على الكافر والبشارة لمن خشي
الرحمن وهو مومن ولم تختر طريق الترغيب والترهيب
والوجه الثاني يحتمل ان يكون اختيار الانذار تنبيها

على زيادة تاثير الانذار من البشارة لان الانذار يوثر
على اكثر الناس وحده ولم يوثر البشارة مثلا اذا قال
ملك من ملوك الدنيا كل رجل لم يجئ الى موضع كذا في يوم
كذا يصلب في امام داره يتاثر جميع الناس ويخافون الا نادرًا
فيلتزمون الذهاب الى هذا الموضع خوفا من الصلب
وان كان فيه مشقة عظيمة لا تلتزم الا بالخوف عن الموت
واما اذا قال ذلك الملك كل رجل ان جاء الى موضع
كذا فله لواء من لواء مملكتي وان لم يجئ فلا اعطي له
شيئا وان لم يستقم فلا يلتزم اكثر الناس الى الذهاب
الى ذلك الموضع فيترك هذا اللواء لتنفر طبعه بالضرورة
عن المشقة العظيمة كذلك ترهيب العاصي والكافر بالنار
اشد تاثيرًا من الترغيب بالجنة بلا ريب لان العاصي راض بحاله
والمضي على هواه جنة عنده ولم يطلب جنة اخرى

ولم يتغير حاله بعدم دخول الجنة واما دخول النار
يهدم جميع لذاته ويحترق جميع اعضائه فيتبدل لذته
الى الم لم تحمل لطاقة البشرية فاذا اعتقد الى ذلك
النار ربنا تؤمنها فيترك ما يوجبها ويقربها ويلتزم ما يبعدها
الآن يكون احوج لم يقدر ارتفاع نظره فينظر
الى العاقبة والباقى بل ينحصر نظره الى النقد والحال
والفانى فيكون اخبث الاشياء وابغضه عند الله اطيب
الاشياء واحبه عنده وهو الدنيا المبغوضة المهلكة
الفانية واطيب الاشياء واحبه مكروها ومنفورا وهو
الآخرة الباقية نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات
اعمالنا **قوله** يعنى آباءهم الاقربين التقييد بالاقربين
على تقدير كون الما فى ما انذر نافيه وبالابعدين على تقدير
كون الما مصدرية او موصولة او موصوفة لدفع ما يقال

كيف يكون التفسيران واحدهما يقتضى ان لا يكون آباءهم
منذرين والآخر ان يكون آباءهم منذرين فان قيل
كونها نافية يقتضى ان لا يؤمر بانذار اليهود لان آباءهم
منذرون والجواب ان المراد آباءهم الاقربون وانهم
ما انذروا بعد ضلالهم بعد ارسال من تقدم فما دام
فى القوم من يبين دين نبيهم لا يرسل الله تعالى رسولا
فى الاكثر واذا اضل الكل وتباعد العهد يبعث مقررا
او واضعا لشرع آخر وقوله فهم غافلون يدل على
ان البعثة تكون عند الغفلة واما ان كان فيهم من يبلغ
ويبين فخالفوه فحق عليهم الهلاك وليس فى كل تعذيبا
من قبل ان يبعث رسولا وكذا من خالف ما لا يفتقر
الى بيان الرسل يستحق الهلاك من غير بعثة لا قولا
بالتحسين والتقبيح العقليين بل لو خلق فى قوم علما

بوجوب الاشياء وتركوه لا يكونون غافلين فلا يتوقف
تعذيبهم على البعثة لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
لما بين ان الارسال للانذار شان ان الهداية لا يستلزم
الاهتداء والمشهور ان المراد من قوله لقد حق القول
منى لاملان جهنم منك وممن تبعك وقيل معناه سبق
في علمي ان هذا يؤمن وهذا لا يؤمن وقيل لقد حق القول
الذي قال الله على لسان الرسل من التوحيد وغيره وبان
برهانه فاكثرهم لا يؤمنون بعده لان من توقف استماع
الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان اما اذا بان الدليل
واكد بالايمان ولم يؤمن فهو ممن لا يؤمن لمضي وقته ولانهم
لو ارادوا شيئا اوضح من البرهان وهو العيان وانه
لا يفيدهم الايمان فالمعنى من لم تبلغه الدعوة والبرهان
قليلون فحق القول على اكثر من لم يوجد الايمان وعلى الاول منهم

والثاني ظاهر فان الاكثر الكفار ماتوا على الكفر وقيل
اريد لقد حق كلمة العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون توجيه كثرة العاجل
من لا يؤمن على من يؤمن ان في الانسان صفات اربعة
بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية فيصدر من البهيمية
الشهوة والفجور ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة
والبغضاء ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن
الربوبية الكبر والعز وحب المدح و الاستيلاء واصول
هذه الاخلاق قد عجنت في طينة الانسان عجنا محكما لا يكاد
تتخلص منها وتلك الصفات الاربعة من جنود الشيطان
قد سبق الى القلب قبل البلوغ متمكنا راسخا لانه لا تكليف
قبل البلوغ فلا مانع في ذلك الزمان فيسرع النفس الى
جميع مرادها وتشتاق وتتحرى الى ان تبلغ بمقتضى مراداتها
بعد البلوغ الى ان يرد نور العقل فاذا جاء نور العقل والشرع

يحصل منه نور الايمان فان كان ذلك العقل قويا صحيحا الا نظر
الى الحال والآن بل المآل والعاقبة فيتخاصم مع النفس فيقوم
القتال والتطارد بينهما في ميدان القلب فيغلب جند العقل
ونور الايمان الرحماني على جند النفس الشيطاني فيكون
عبد الله من اهل السعادة والفلاح والجنة وان لم يكن قويا
يقتصر نظره الى المحسوسات والمعاينات فيقنع بالنقد
العاجلة ولم يلتفت الى النسية الآجلة وان كان بينهما تفاوت
غير متناهية من جهة الكيف والكم فيكون من اهل الشقاوة
والنار ان لم يتيسر التوبة قبل الموت وان تاب فيترك
النعم العاجلة التي يتهالك عليها الناس راسخة فيها واختار
الرياضة المخالفة للنفس والتقيد بقيود الشرع التي
هي السجن للنفس لرجاء النعم الآجلة التي لا يعلم متى يتحقق
يرجى ان يكون من اهل السعادة بلا يقين عليه الجواز

ان يصدر عنه فعل يبطل كل اعماله ولا يتيسر
تلك التوبة ولا يصدر ذلك الا من فحول الرجال ولا يحصل
ذلك الا لمن له همة عالية يعد عارا ونقصانا ان تقنع
بالسفليات والفانيات مع وجود الامكان والاستعداد
الى العلويات والباقيات اللهم اعوذ بك من قلة
العقل وقصور الهمة راجيا صحة العقل الرباني والهمة
الصادقة الرحماني قال بعض اهل التحقيق في قوله تعالى
لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون حق القول
الازلي في الازل ان اكثر الخلق لا يعرفونه لانه غريب
الازل والازلي لا يعرفه الا الازلي والحمد لله الذي
حكم على الاكثر بالشقاوة وما حكم على العقل الذين
عرفوه به لا بغيره وهم اوراق بساتين قدسه ونبات
نرجس انسه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان

فهم مقمحون فان قيل يلزم منه الجبر على الذين جعل الله
فى اعناقهم اغلالا مانعا عن الايمان والجواب عنه بوجوه
الاول ان الله تعالى مالك الملك والحكيم المطلق عالم السر
والخفيات القادر على كل اشياء وغير ذلك من الاوصاف
التى لا يوجد فى المخلوق بعضها معلوم لذوى العقول
وبعضها غير معلوم والموصوف بهذه الاوصاف اذا فعل
فعلا لا يليق ولا يجوز ان يعترض عليه احد ويسئل
عن افعاله لعدم وصول عقله الى اسرار فعله وكيفيات
صدوره فكيف يعترض على من يتصف بهذه الاوصاف
التى لا يعلم واحد منها بالكنه واليه اشار بقوله تعالى
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنمثل ذلك بملك الدنيا
وهو من جملة عبيده العاجز المحتاج من جميع الوجوه
اليه اذا جعل بعض عباده وزيرا وبعضه حافظ الخزينة

وبعضه خياطا وبعضه صياغا وبعضه صباغا وبعضه
سراجا وبعضه طباخا وبعضه فراشا وبعضه بوابا وبعضه
حجاما وبعضه جلادا وبالجملة اى جعل كل عبيد الى مصلحة
يحتاج الملك اليها لا يعترض عليه احد بان يقول جعل
بعضها وزيرا وبعضه طباخا ظلم للطباخ بل يقال انه
ملك يتصرف فى مملكته وعباده ما يشاء او يقال ان الملك
يعلم ان بعضه يليق الى الوزارة وبعضه الى الخياطة
وبعضه الى الصياغة فاذا كان الاعتراض الى عبيد
العاجز فى افعاله لا يليق فكيف يليق الاعتراض على ملك
الملوك والحكيم المطلق والوجه الثانى ان الماهيات
المعدومة الممكنة غير مجعولة فى نفسها فكل واحد منها
لها استعدادات مختلفة فبعضها بالماهيات يليق الى الايمان
وبعضها يليق الى الكفر وبعضها يليق الى ان يكون

فرسا وبعضها حمارا وبعضها قطنا وبعضها حديدا
فلا يليق ماهية الانسان ان يكون فرسا مثلا
ولا ماهية القطن ان يكون حديدا وقس على هذا غيرها
واليه اشار بقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ
ولكن الناس انفسهم يظلمون فان قيل قال الله تعالى
ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني
لاملأن جهنم فهو يدل على ان الله تعالى قادر على
اعطاء الايمان للكافر فيلزم الجبر والظلم بجعله كافرا
قلنا ان الجبر والظلم يندفع بالاعطاء بما يناسب
ماهيتها واستعدادها غاية ما في الباب انه تعالى
لم يعط خلاف مقتضى استعدادها مع القدرة عليه
وليس هذا ظلم لان الظلم عدم اعطاء حق الغير
او اخذ حق الغير بغير حق وعدم اعطاء شيء مع القدرة

عليه ليس بظلم بلا وجوب عليه بل عدم وجود الاحسان منه لحكمة
عظيمة والوجه الثالث ان الله تعالى علم ان العبد يريد الكفر
في الازل
ولا يريد الايمان باختياره فيقدر على ارادته الكفر والايمان
فذلك معنى قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاية ومعنى
قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
الاية فلا يلزم من قدرة الله ان يخلق للكافر ايمانا بدل الكفر
على ما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولم يخلقه
له ظلما لان اعطاء ما اراد الانسان ليس بظلم وان كان ضارا
له واعطاء خلاف ما اراده نافعا له وهذا معلوم لمن انصف
وتدبر فان قلت قال الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
يفهم منه ان لا يكون للعبد ارادة شيء عند عدم ارادة الله اياه قلت معناه
ان الله خالق ما اراده العبد واذا لم يخلق ما اراده لم يوجد
وليس معناه ليس للعبد ارادة بل الله تعالى اعطى للانسان ارادة

جزئية قابلة الى ان يصرف الى اي شئ شاء واما وقوعه
فلا يكون الا بارادة الله تعالى هذا من المقامات الغامضة تتحير
فيه العقول والافهام وانا العبد الضعيف اتكلم في هذا المقام
شمة بعناية الله تعالى بمعاونة كلام اولى الالباب والابصار
قوله رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم هذا جواب سؤال
مقدر تقريره قيل قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
الاية تعليل لقوله فهم لا يؤمنون فكيف يفهم من الغل
المنع من الايمان فاجاب بانه شبه المغلول الذي بلغ الغل ذقنه
فبقي رافعا راسه لا يبصر طريقه من يصمم على الكفر وختم
على قلبه في عدم ابصار الطريق المستقيم وسوى في طرف المشبه
عدم ابصار عين الباطن وفي المشبه به عدم ابصار عين
الظاهر وقس عليه تشبيه عدم البصيرة في الباطن الى السد
ما بين ايديهم وما خلفهم قوله وقيل الآيتان في بني مخزوم

خلف ابو جهل فالمناسبة على هذا التفسير لقوله فهم لا يؤمنون
انهم عاينوا ما يقع من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه
ومنع من ارسال الحجر ولم يؤمن علم انه لا يؤمن اصلا
وقيل لهم مانعان مانع في النفس وهو الغل ومانع
في الخارج وهو السد ولا يقع نظرهم على انفسهم فيروا
الايات التي فيها لان المقمح لا يرى نفسه ولا الآفاق لان
السد مانع فلا يرون آياتها فالآيتان اشارة الى عدم
هدايتهم بآيات الله في الانفس والآفاق وفائدة ذكر
السد من بين الايدي ظاهرة فانهم في الدنيا سالكون والسد
من بين الايدي يمنع سلوك طريق المستقيم وذكر السد
من خلفهم له وجوه الاول ان الانسان له هداية فطرية
والكافر تركها ونظرية والكافر وذكر السد من خلفهم
ما ادركها فكانه يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون

على هذا التفسير

الطرق النظرية ومن خلفهم فلا يرجعون الى الهداية
الجلية الثاني ان مبداء الانسان من الله ومصيره
اليه فعمى الكافر فلم يبصر ما بين يديه من المصير اليه
ولا من خلفه من الدخول فى الوجود بخلقه الثالث ان
السالك المضطر الى سلوك طريق ان انسد طريقه
وفات المقصد رجع واذا انسد من خلفه ايضا ولم يكن
الموضع محل اقامة يهلك فهذا اشارة الى هلاكهم
ذكر الاغشاء بالفاء يوجب ترتبه على جعل السد وذكر
بان يكون هذا بيانا لامور مرتبة ليس بعضها سببا
للبعض فكانه قال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فلا يبصرون
انفسهم ومن بين ايديهم ومن خلفهم فلا يبصرون
ما فى الافاق ويمكن ان يروا السماء وما على يمينهم
وشمائلهم فاغشيناهم لئلا يبصروا شيئا اصلا وقيل

هو بيان لقرب السد منهم بحيث يصير كالغشاوة على ابصارهم
فلا يبصر ما وراء الحجاب ولا السد لغاية قربه وشرط الرؤية
كون المرئى غير قريب جدا قيل لم لم يذكر السد عن اليمين
وعن الشمال قلنا لان الكافر حيث توجه يجعل الله
قدامه وخلفه سدا وايضا لما كان جعل السد سبب
الاغشاء لا لتذاقهم به لم يقدر على الحركة اصلا فلا حاجة
الى السد عن اليمين والشمال ويحتمل ان يراد من قوله
فهم لا يبصرون ان الكافر مصدود وسبيل الحق عليه
مسدود وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد فيظن انه
على الاستقامة وان غيره ضال قال اهل التحقيق سد الازل
وسد ما بين ايديهم شقاوة الابد فبنفسه منعهم من نفسه
لا جرم انهم فى غشاوة الغيرة ولا يبصرونه ابدا قال ابن عطا
جعلنا من بين ايديهم سدا هو طول الامل وطمع البقاء

سد ما خلفهم

ومن خلفهم سدّا وهو الغفلة عمّا سبق من الجنايات وقلّة
الندم والاستغفار عليه اعماه تردّده في الغفلات عن الاعتذار
لما سبق من الجنايات وقال الاستاذ اغرقناهم اليوم
في بحار الضلالة واحطنا بهم سرادقات الجهالة وفي الآخرة
تغرقهم في النار والانكال ويضيق عليهم الحال بالسلاسل
والاغلال قال اصحاب التاويل انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا من قيود الطبيعة البدنية ومحبة الاجرام السفلية
فهي الى الاذقان يمنع رؤسهم من التطاطؤ للقبول اذ عمّت
الاعناق التي هي مفاصل تصرفات الرؤس واطبقت المفاصل
حتى جاوزت اعاليها وبلغت حدّ الرؤس من قدّام فلم
يبق لهم تصرف في القبول ولا تاتي بالانفعال والميل
الى الركوع والسجود للانقياد والفناء فانّ الكمالات
الانسانية انفعاليه لا تحصل الّا بالتذلل والانقهار

فهم مقمحون ممنوعون من قبولها بامالة الرؤس وجعلنا
من بين ايديهم من الجهة الالهية سدّا من حجاب ظهور النفس
والصفات المتوليه على القلب منعهم من النظر من فوق
ليشتاقوا لقاء الحق عند روس الانوار الجمالية الالهية
ومن خلفهم من الجهة البدنية سدّا من حجاب الطبيعة
الجسمانية ولذاتها المانعة لامتثالهم الاوامر والنواهي
فمنعهم العمل الصالح الذي يعدّهم لقبول الخير والصفات
الجلالية فانسدّ لهم طريق العلم والعمل فهم واقفون
مع اصنام الابدال حيارى لا يتقدّمون ولا يتاخّرون
فاغشيناهم بالانغماس في الغواشي الهيولانية والانغمار
في الملابس الجسمانية فهم لا يبصرون لكثافة الحجب من جميع
الجهات واحاطتها بهم ولمّا لم يبصروا ولم يتاثّر فالانذار
عليهم وعدم الانذار اليهم سواء فقال وسواء عليهم

وقيل

ءانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون هذا استيناف من قوله
انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الاية كانه قيل انا ذكرتم
يدل على ان لايكون لهم ميل طبعى الى الايمان بل يكون
فى طبعهم مانع الى ايمانهم فلم يجوز ان يسر الله لهم
الايمان من الخارج فهنا انذار صادق القول فدفع ذلك
كما لم يتيسر لهم الايمان من طبعهم لم يتيسر من الخارج
فقال وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون
فيكون عدم ايمانهم مقطوعا من جميع الوجوه فيتم التعليل
على قوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لايؤمنون
فان قيل فاذا لم يفد الانذار عليهم اصلا فلم امر الانذار
على كل القوم سواء كان نافعا او غير نافع والجواب عنه
ان استواء الانذار وعدم انتفاعه بالنظر عليهم لا بالنظر
على النبى صلى الله عليه وسلم لان الانذار يخرجه عن عهدة الرسالة

ويزيد سيادته عاجلا وسعادته آجلا فان قيل لايلزم من عدم
نفع الانذار عدم نفع البشارة فلم ترك البشارة والجواب
عنه انما اختصر عليه لانه اوقع فى القلب واشد تاثيرا
فى النفس من حيث ان دفع الضر اهم من جلب النفع فاذا
لم ينفع الانذار لهم كانت البشارة بعدم النفع اولى
وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى قل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
رفعه بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم
والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام
ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم

في الاضافة والاسناد اليه لقوله تعا واذا قيل لهم
آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل
لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليهم
لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما لمجرد التخصيص في قوله
جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حرف
النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قوله اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة والانذار اريد به التخويف عن عقاب الله تعالى
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب قيل قوله
لتنذر يقتضي الانذار العام وقوله انما تنذر انذار الخاص
فكيف يجمع قلنا قوله لتنذر كيف ما كان سواء افاد اولا
وقوله انما تنذر الانذار المفيد وايضا فلما سوى بين الانذار
وعدمه في حق المعاندين قال انذارك مفيد في الجملة فانذر

على العموم كانه يقول انك تهدي ولا تنذر من يهتدي
فانذر الاسود والاحمر فان المقصود من تبعك وقيل
قوله لتنذر اي اولا فاذا بلغت وبالغت واستهزئ
البعض وتولى فاعرض عنه وبعده فانما تنذر الذين اتبعوك
وقيل تنذر الكل بالاصول وبالفروع من ترك الاوامر
ممن اتبع الذكر وآمن وفيمن اتبع الذكر وجوه الاول
انه القران والثاني ما فيه من الآيات لقوله والقرآن
ذي الذكر فانه لم يجعله نفس الذكر والثالث البرهان
فانه ذكر بكمال الفطرة ومعناه على كل وجه انما تنذر
العلماء الذين يخشون ربهم وهو كقوله انما يخشى الله
من عباده العلماء وكقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقوله اتبع الذكر اي آمن وقوله وخشي الرحمن اي عمل
عملا صالحا ويؤيده قوله فبشره بمغفرة واجر كريم

فالغفران جزاء الايمان اذ كل مؤمن مغفور والاجر الكريم
جزاء العمل وتفسير الذكر بالقرآن يؤيد تعريفه باللام
اذ المتقدم ذكر القرآن وفي قوله خشي الرحمن لطيفه
وهي ان الرحمة مظنة الرجاء فقال مع انه كذلك فالعاقل
لا ينبغي ان يتخشاه لان كثرة النعم للرحمة يوجب خوف الاثم
يخاف ان ينقطع وتكملة اللطيفة ان لله اسمين يختصان
به حتى قيل انهما بمنزلة العلم وهما الله والرحمن كما قال
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والله يدل على الهيبة والرحمن
ينبئ عن الرحمة فقال في موضع وارجوا الله وههنا قال
وخشي الرحمن يعني مع كونه ذا هيبة لا تقطعوا منه رجاءكم
ومع كونه ذا رحمة لا تامنوه قوله بالغيب يعني بالدليل
وان لم يشاهد والمشهور ان المراد ما غاب عنا من احوال
القيامة قوله فبشره اشارة الى الثاني من امر الرسالة

فانه بشير ونذير كما هو نذير وقوله بمغفرة اي واسعة
وقد ذكر انه ارسل لتنذر ولما ذكر الانذار النافع قال
بشير كما هو نذير وقوله بمغفرة اي واسعة تستر من جميع
الجوانب فلا يرى من آثار النفس الامارة شيء ويظهر
انوار الروح الزكية واجر كريم اي ذي كرم قوله تعالى
انا نحن نحيي الموتى استيناف بيانه لما اثبت الله تعالى
رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للانذار على طريق
التاكيد الذي يزيل انكار المنكر لتوهم المنكر ان الانذار
انما يكون في الآخرة وهي انما يكون بالحشر وباحياء
المعدومات ولسنا بقائل بذلك فقال الله تعالى
انا نحن نحيي الموتى فاندفع التوهم وتم الكلام او تاكيد
لقوله وخشي الرحمن بالغيب لان الخشية من الرحمن
انما يتحقق ويتم باحياء الموتى والحشر ولما كان

للان اصول ثلثه احدها معرفة المبداء الواحد
والثاني اعتقاد ارسال الرسل لتبليغ الاحكام الالهية
والثالث معرفة المعاد وكان الله تعالى افاد معرفة
الرسالة التي هي مناط سعادة الدارين اشار الى الاصلين
الاخرين اعني معرفة المعاد والمبداء اما الاول فظاهر
واما الثاني ان قوله نحن اشارة الى التوحيد اذا الاشتراك
يوجب التميز بغير النفس كما لو سمى بزيد شخصان لا يكفي ان
يقول احدهما انا زيد بل يقول زيد بن عمرو ولو شاركا في الاب
احتاج الى تميز آخر فلما قال الله انا نحن علم انه ليس احد
يشاركه فصارت الاصول الثلثة مذكورة قوله نحن خبر
انا كقوله انا ابو النجم وشعري شعري ومثله يدل على الشهرة
العظمة فان المجهول اذا سئل يقول انا ابن فلان والمتعين
يقول انا انا اي لا معرف لي اظهر من نفسي وهذا اولى من القول

قوله
بالتاكيد او الجهال بالهداية او الامي بالعلم او الفاسق
بالصلاح او الصالح بالمشاهدة او المشاهد بالفناء او الفاني
بالبقاء او اهل التلوين بالتمكين لما ذكرنا انا نحن نحيي الموتى
لاتمام الانوار او لاتمام افادة اصول الثلثة توهم المنكر
ثانيا ان الانذار بالاحياء والاعادة انما يكون بان يكون
جزئيات افعال العباد مضبوطا ولا يتعلق غرض الخالق
الى ضبط جزئيات افعال العباد فذكر الله تعالى ذلك القول
لدفع ذلك التوهم فاندفع بذلك ما قيل الكتابة قبل الاحياء
فكيف اخرت وقد يجاب عنه هي معظمة لامر الاحياء لانه
ان لم يكن الحساب لا تعظم والكتابة ان لم يوجد احياء
واعادة لا يكون لها اثر فالمعتبر هو الاحياء والكتابة
تعظم ولان قوله انا نحن لما افاد العظمة قرن بالاحياء
فانه عظيم مختص به والكتابة دونه قيل ما قدموا واخروا

ونكتب ما قدموا

فاكتفى باحدهما نحو سرابيل تقيكم الحر وقيل يكتب نياتهم فانها
قبل الاعمال **قوله** ما اسلفوا من الاعمال الصالحة واليقين
التام والصدق على الدوام وكشف غرايب الصفات وعجايب
انوار الذات والاستقامة في جميع الاحوال ومن مخالفة
النفس والهواء والانقطاع عن غير الله والمجاهدة في مكايد
النفس والشيطان والاقبال عليه بدوام الذكر والرياضة
ومن حفظ آداب الشريعة واحكامها عند غلبة الروحانيات
وهجوم الحالات حتى لم يخرجوا عن حد العلم والشعور ولم يخلوا
بشيء من احكام الشرع ومن الاحتراق في نيران الطلب والمحبة
احتراق الفراش في نار الشمع ومن بذل النفس وبحر الوجود
في الطيران في المقامات والمكاشفات **قوله** والطالحة والاستغراق
في تحصيل الدنيا والتوجه الى غير الله والخوف والرجاء من غير الله
ونسيان الآخرة بحظوظ الدنيا وآثارهم كعلم علوم وحبس

وقفوه وكارشاد ارشدوا من استهلكوا في ذخاير الدنيا
الى الانوار الالهية وتربية ربوا اطفال الطالبين ليبلغ
درجة الرجال **قوله** والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم
وترك خلف زاعما انه مكمل مرشد من ليس له قدم راسخ
في الشريعة والطريقة والحقيقة فيكون من رباه ضالاً
ومضلاً وقيل آثار اقدامهم فان بعض الصحابة بعدت
دورهم عن المساجد فارادوا النقلة فقال عليه السلام
ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها فالزموا بيوتكم
وقيل هي الكتب المصنفة والقناطير المبنية والحبايس
الدارة والسنن السيئة كالظالم والكتب المضلة والآلات
المناهي وهو في معنى قوله عليه السلام من سن سنة سيئة
يعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير
ان ينقص من اوزارهم شيئا وكل شيء احصيناه في امام مبين

هذا بيان لكون ما قدموا وآثارهم مكتوبة عليهم لا يبدل
فان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة فانذفع ان قوله بذلكم
ونكتب ما قدموا مغن عنه مما وجهه وفايدته وجه الدفع
ان السابق لا يدل على عدم التبديل وايضا الكتابة كتابه
اخرى فانه تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا
فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل هو تاكيد لنكتب اي
كتب شيا في ورق ورماه ربما لا يجده فكانه قال نكتب
ونحفظه في امام مبين ونحوه علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي
ولا ينسى وقيل تعميم بعد التخصيص اي ليست الكتابه منحصرة
فيما ذكر بل كل شيء محصى في امام مبين واحصيناه ابلغ
من كتبناه لان من كتب شيا مفرقا يحتاج الى جمع عدده
فقال هو محصى فيه وسماه اماما لان ما كتب من اجل ورزق
واحياء وامانة فالملائكة يتبعونه وقيل هو اللوح المحفوظ

والمبين المظهر للملائكة ما تفعلون والناس ما يفعل
بهم او هو الفارق فيجعل الخلق فريقين اى فريق في الجنة
وفريق في السعير واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اي
اضرب لاجلهم مثلا لما قال انك لمن المرسلين ولتنذر
قال قبل لهم ما انا بدعا من الرسل اى ما انا اول ما وقع
من الرسل فقد جاء قبلي برسلون الى اصحاب القرية وانذروهم
كما انذرتكم وبينوا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا
بنعيم الابد دفعا لوحشتهم وتسهيلا لقبولهم لان جبلة
الانسان على قبول ما وقع بمثلهم وتقبل ما لا يقع على غيرهم
من الاحكام ولهذا قالوا البلية اذا عمت طابت او اضرب
لاجلك مثلا اصحاب القرية لما قال الانذار لا ينفع
من اضله الله قال له لا تاس واضرب لنفسك مثلا
لقومك اى مثل لهم عندك مثلا حيث جاءهم رسل

ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وانت واحد
وقومك اكثر من قومهم فانك بعثت الى العالم وهي الى
فقط او واضرب لنفسك مثلا اصحاب القرية لما قال
لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون قال له لا
ذلك والحزن على قلة المؤمنين وكثرة الكافرين
واضرب لنفسك مثلا لقومك اى مثل لهم عندك مثلا
اصحاب القرية حيث جاءهم رسل فآمن حبيب النجار
على ما فهم من القصة الضرب مساس جسم بجسم عنفا
او الشيء اذا قرن بغير فما معنى ضرب المثل قلنا معناه
التمثيل فان الضرب اسم للنوع يقال هذه الاشياء
من ضرب واحد فالمعنى اجعل هذا وذلك من نوع واحد
والتقدير واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية فحذف
كما فى واسئل القرية قال فى الكشاف وقيل لا اضمار والمعنى

اجعل اصحاب القرية مثلا او مثل اصحاب القرية بهم اذ جاء
المرسلون منصوب على البدل عن اصحاب القرية اي اضرب
لهم وقت مجئ المرسلين ومثلهم بمجيئك والمثل لنفسك محمد
صلى الله عليه وسلم اذ ارسلنا اليهم اثنين بدل عن
كانه قال اضرب لهم مثلا اذ ارسلنا والاوضح ان يكون
ظرفا لجاءها حين ارسلناهم ولم يكن مجيئهم من تلقاء
انفسهم وفى الحكاية ان عيسى عليه السلام ارسلهم
فقال تعالى ارساله ارسالنا فلا يقع على نفسك
انهم كانوا رسل عيسى عم حقيقة وانى رسول الله فالتكذيب
وقع فى رسل عيسى لا فى نفس عيسى عم واما فى حقى فقد
وقع التكذيب لى فكيف يقع التسلية لى من هذا المثال
فاذا تحقق ان رسل عيسى رسل الله فى التحقيق فقد تم
التسلية ويؤيده مسئلة فقهية وهى ان وكيل باذن الموكل
الوكيل

وكيل الموكل ينعزل بعزله اياه لابعزل الوكيل وعلى هذا
فضرب المثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر قوله
وحذف المفعول لدلالة ماقبله ح وهو المرسلان اولا
فان قلت قال الله تعالى سنشد عضدك باخيك
فذكر المفعول ولم يذكر هنا لان موسى عم كان افضل
من هارون وبعث معه بطلبه حيث قال فارسل معى
وكان مبعوثا ليصدقه ويقويه بما يامره واما هما والثالث
فكل واحد مستقل ناطق بالحق وتم المقصود لقوله
موسى وارسال من يونه وهنا تقويه الحق ثم بين بينهم ماجرى
وعليهم مثل ماجرى بين محمد صلى الله عليه وسلم وعليه
فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك لانهم كانوا عبدة
اصنام ح يفهم من هذه القصة ان لايقع تكذيب شمعون
فعلى هذا يكون الجمع في مرسلون وفي ما انتم وفي ان انتم

الا تكذبون تغليبا فيكون في انتم وتكذبون تغليبان احدهما
تغليب التثنية فيذكر في مقام التثنية الجمع والاخر تغليب
الخطاب على الغايب وقوله فعززنا بثالث مع تعقيب قوله
فقالوا انا اليكم مرسلون يدل على ان شمعون مع الاثنين
مع دعوى الرسالة وتكذيب القوم وهذا الاحتمال مطابق
لقول ابن اسحق عن كعب ووهب وهو قوله كفر الملك
واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو
على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم ويؤيد الاحتمال
الثاني انه لايفهم من الاية الكريمة ان يكون رجل سماه الا حبيب
النجار الذي جاء من اقصى المدينة فعلى هذا يكون القصة
وقعت من الرسولين وشمعون فيها في مدارة الكفرة
وتلبيس حاله وقع قبل قوله فقالوا انا اليكم مرسلون ويدل
قوله فكذبوهما فعززنا بثالث ويمكن على تقدير كون الملك

مسلما مع قوم معه لا يكون قوم آخر مسلما فكذبوه اي يقع
التكذيب من ذلك القوم فيكون قوله انا اليكم الى قوله
قالوا ربنا يعلم الايه قول ذلك القوم التي لم يكونوا مسلما
مع الملك فيكون الاثنين مع مدارة شمعون قبل ذلك
قالوا انا اليكم مرسلون فان قلت قال فيما سبق انكم
لمن المرسلين وفيما سياتي انا اليكم لمرسلون بلام التاكيد
ولم يذكر هنا لام التاكيد قلت انكارهم قوي فيما سبق
وفيما سياتي من هذا المقام الا ان الانكار هنا سياتي
مقارن الى دليل وفيما سبق بمجرد الانكار بلا دليل ما انتم
الا بشر مثلنا استدلوا به على عدم الارسال بناء على عدم
اعتقادهم الاختيار مع القدرة الكاملة كما هو داب المشركين
فرد الله عليهم قولهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته
وبقوله الله يجتبي اليه من يشاء اي ان الله يعلم اسرار
جميع الاشياء انسانا كان او ملكا فيجد كل من كان
نبيا في كل زمان مستحقا في زمان جعله نبيا من غيره
من الانسان والملك فيختار ذلك وبالجملة ان الله تعالى
يعلم اسرار جميع الاشياء ويعلم اي مثلي يناسب لشيء
من بين الاشياء فيختار ما هو المناسب لحكمته والاعراض
عليه من الجهل بصفاته وما انزل الرحمن من شيء متمم لما
ذكروه والكل شبهة واحدة فانهم قالوا انتم بشر
وما نزلتم من الله وما انزل اليكم احدا فكيف صرتم
رسله وتلك شبهة اخرى من جهة المرسل وهي انه ليس
بمنزل شيئا في عالم السفلي بل المؤثر فيه الاجرام العلوية
وقوله الرحمن رد عليهم لانه لما كان رحمن الدنيا والاخرة
رحيم فكيف لا ينزل رحمته ان انتم الا تكذبون يعني ما انتم
الا كاذبين قالوا ربنا يعلم لم يتركوا الدعوة بمجرد التكذيب

بل اعادوها واكدوا باليمين لان العلم يجري مجرى القسم
وقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واللام تدل على ان علم الله
يجري مجرى القسم لان من قال يعلم الله فيما لا يكون ينسب اليه
الجهل وانه يوجب العقاب كالحنث وفيه رد لقولهم انتم
بشر لان الله تعالى اذا علم انهم مرسلون كان ذلك لقدرته
واختياره اياهم لرسالته وما علينا الا البلاغ المبين تسلية
لانفسهم وحث لهم على النظر حيث لم يطلبوا اجرا او اقصدوا
رياسة واقتصروا على التبليغ والذكر والمبين تحتمل المبين
للحق بكل ما من الباطل بمعنى الفارق ويحتمل ان يكون
بمعنى المظهر ما ارسلنا للكل والمظهر للحق بما يمكن فاذا تم بكل ما
ولم يقبلوا يستحقون حق العذاب قالوا انا تطيرنا بكم كذبوهم
اولا وتطيروا بهم آخرا يعني اصررتم على التكذيب مقسمين عليه
واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع فلا نتركم لئلا يبيدنا كنا

شومكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم والظاهر ان الرجم بمعنى القتل
بالحجارة كما ذهب اليه البعض تا المناسب لما بعده وليمسنكم
ان يكون الرجم بالقول لان المناسب للبلاغة ان يوجد الترقي
في المعطوف فقوله وليمسنكم ترقى اي لا نكتفي بالشتم بل نقدم
على الضرب والايلام واما اذا كان المراد القتل بالحجارة
فقوله وليمسنكم بيان يعني لا يكون الرجم بحجر او حجرين بل نديم
ونتبعه عليكم الى الموت ومسكم بسببه منا عذاب اليم
اي مولم وفعيل بمعنى مُفعِل قليل او هو من باب عيشة راضية
اي ذات رضى والاليم بمعنى ذو الم وهو فعيل بمعنى فاعل
بل انتم قوم مسرفون انهم يكفرون بتكذيب الرسل
ثم يصرون بعد ظهور الحق وهو صدور احياء الموتى
من الرسل وهم الاثنان المرسلان وشمعون معه في المعنى
والكافر مسيء فاذا اصر بعد وضوح الدليل وهو مسرف

وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وجه النظم لما ذكر
ما وقع على المرسلين بعد البلاغ المبين من التكذيب والاذى
والقتل بالحجارة تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم ذكر
سعى المؤمنين في تصديقهم وصبرهم على الاذى وتلاحق
الاذى الى القتل تسلية لقلب اصحابه وفي تنكير رجل تعظيم
لشانه اي رجل كامل وهو حبيب النجار وقال السدي
كان قصارا وقال وهب كان رجلا يعمل الحرير وكان
سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب
من ابواب المدينة وكان مؤمنا متصدقا يجمع كسبه اذا امسى
فيقسم نصفين فيطعم نصفا عياله فيتصدق بنصف
فلما بلغه ان قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال
اتبعوا الرسل ان القاصدين قتل الرسل غير الملك ومن
اسلم معه على رواية او هم الملك والقوم معه كلهم على رواية

قال يا قوم اتبعوا المرسلين النداء مع الاضافة
الى نفسه اشفاق عليهم ويفيد انه لا يريد بهم الا الخير
وايضا جمع بين النصيحة والايمان فقوله اتبعوا
نصيحة لهم ان يؤمنوا وقوله المرسلين يشير ويظهر
انه آمن ثم حرك غيرهم الى الايمان بهم اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون يعني ان منعتم كونهم مرسلين
لا شك ان فيكم سالكين الطريق الحق طالبين للاستقامة
فاذا وجدتم دليلا يجب اتباعه الا اذا غالى في طلب الاجرة
او طلب الاجرة مانعا الاعتقادكم الى حقيقته لكون الاغراض
مانعا الى الاستقامة او لم تعتقدوا اهتداءه ومعرفته
بالطريق بسبب من الاسباب لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة
وهم مهتدون عالمون بالطريق المستقيم بحصله فيجب انهم
ليسوا مرسلين هادين اليسوا مهتدين فاتبعوهم واعلم

ان الله تعالى وتقدس جعل فى مواضع كثيرة دليل الاستقامة
الانبياء وحقيتهم عدم طلب الاجرة فى وعظهم ونصحهم
لان الانسان مجبول بحب المال والعمل بالاجرة فاذا لم يطلب
الاجر يعلم انه من اهل الاخرة لا من اهل الدنيا ويطلب الاجر
فى الآخرة ومقرر لا يجئ من اهل الاخرة الكذب والاعوجاج
فيجب الاتباع والانقياد اليه وان طلبوا الاجرة فيحمل من جهله
ان النصح والوعظ لاخذ المال فيتوهم عدم الاستقامة
وايضا عدم قدرة المال حجابا الى ان ينال نصحهم فاذا لم يسأل
اجرا ينال الفقير والغني نصحهم ومالى لا اعبد الذي فطرنى
هذا بيان اهتدائهم فانهم يدعون من عبادة الجماد الى عبادة
الحى القيوم ومن عبادة ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع
ومالى اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لانه يستحق
العبادة من جميع الوجوه ولا مانع من جهته فان كان مانعا

يكون من جانبى ولا مانع ايضا منى فلذلك اعبده ولو قال
ما لكم لا تعبدون الذى فطركم لم يقو فى جزم العبادة لان
احدا لا يخفى عليه حال نفسه ولا يطلب لها علة من غيره
فهو بتبين عدم المانع ولو قال ما لكم جاز ان يفهم بيان العلة
لكون غيره اعلم بحال نفسه قيل قال الله تعالى ما لكم ترجون
لله وقارا قلنا القائل هناك غير مدعو وانما هو داع وههنا
الرجل مدعو الى الايمان فقال مالى لا اعبد وقد طلب منه
قوله الذى فطرنى مشعر بالمقتضى للعبادة وبهما فقد المانع
وحصل المقتضى وجب الفعل فالخالق مالك ومنعم بالايجاد
فيجب تعظيمه وشكر نعمه على العباد وانما اخر على سبيل التوبيخ
والتعيب اخر المقتضى لاستغنائه ولظهوره عن البيان فقدم
عبادة نفسه لعدم ظهوره اهتماما فيه نظر ولو قال ما لكم
لا تعبدون الذى فطركم كان تعليلا بوجوب الاتباع

كما علله بعدم اخذهم الاجر مع كونهم مهتدين وهو ان
استحقاق العبودية للخالق لا يخفى على من له ادنى مسكة
او ان الخلق يوجب العبادة بلا ريب فاى آفة يصيبكم
او ضلالة وقعت عليكم يكون مانعا لحصول ذلك الامر
المستحسن الضروري ويدل عليه قوله واليه ترجعون ولقد
اصاب من قال فى هذا المقام تلطف فى الارشاد بايراده
فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد بهم ما اراد
لها اللهم الا ان يقال انه لم يقل لم يجز ان يقال مالكم لا تعبدون
بل قال لم يقوى كما ذكر آنفا قيل كان حبيب النجار فى غار
يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم فاظهر دينه وقيل
لما انتهى حبيب الى الرسل قال لهم تسألون عن هذا الاجر
قالوا لا فاقبل على قومه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون فلما قال ذلك قالوا وانت

مخالف لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل ومؤمن بالله
فقال ومالى لا اعبد الذى فطرنى فيه بحث ايضا لان ذلك
الوجه لم يناسب الى قوله تعالى واليه ترجعون ويمكن ان يجاب
عنه ان عبادتى على خالقى واجب على وان لم تعبدوا على
خالقكم انتم اليه ترجعون فتجازون بالعذاب لمخالفتكم
الامر ولعدم رعايتكم نعم الوجود من العدم واليه ترجعون
يشير الى الخوف والرجاء فان من اليه المرجع يخاف منه
ويرجى قيل فى وجه الالتفات فى هذا المقام وفى تحقيق
قوله تعالى فيه ان من العباد من يعبد الله لكونه الها
انعم عليه اولا كما يعبد الذى يخدم سيده احسن اليه او اساء
ومنهم يعبد للنعمة كمن يخدم الجواد ومنهم من يعبد خوفا
كمن يعبد القاهر والمنتقم فجعل نفسه من القسم الاعلى بقوله
ومالى لا اعبد الذى فطرنى اى عبده لانه مالكى لا لما يعطينى

او يعذبني وجعلهم من القسم الاسفل فقال واليه ترجعون
اى خوفكم ورجاءكم منه فكيف لا تعبدونه وانى اعبد الله
لكونه ذاته مستحقا للعبادة لا لطلب النفع ولا لدفع الضرّ
يعني ان لم تكونوا في مقام الاعلى فليكونوا في مقام الاسفل
فان لم تكونوا منهما لم تكونوا من الانسان بل من الانعام
بل اضلهم ءاتخذ من دونه آلهة التوحيد بين التعطيل
والاشراك فمالى لا اعبد اشارة الى وجود الآلهة وقوله
ءاتخذ من دونه الى نفي غيره ليتحقق معنى لا اله الا الله وفي الاتخاذ
معنى وضوح الامر فان من قال لا اتخذ يصح ان يسأل لم لا اتخذ
واذا قال أأتخذ افاد انه مستغن عن بيان السبب كانه يقول
استشيرك فدلّني وتفكر حتى تفهم من غير بيانى ان يردن الرحمن
فان قلت ذكر في هذه الآية لفظة الرحمن وفي الزمر في قوله تعالى
ان ارادني الله بلفظة الله فما وجه تخصيص كل واحد منهما

قلت ان لفظة الله للهيبة والعظمة والرحمن للرأفة والرحمة
وهناك وصف الله بالعزة والانتقام وذكر ما يدل على العظمة
وهو خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال على العظمة
وههنا ذكر ما يدل على الرحمة وهو قوله الذي فطرني فانه
نعمة هي شرط ساير النعم فذكر الرحمن لما قال الحبيب يا قوم
اتبعوا المرسلين الى قومه اني اذا لفي ضلال مبين اقبل القوم
يريدون قتله فاقبل على المرسلين وقال اني آمنت بربكم
فاسمعوا قولي تشهدوا لي وقيل الكفار كانه لما نصحهم ولم ينفع
قال فاني آمنت وقيل المراد ايها السامعون على العموم كقول
الواعظ ايها المسكين ما اكثر املك وانزر عملك وقوله
فاسمعون كلام متفكر فان المتكلم اذا علم لكلامه سامعين
تفكر وفيه تنبيه القوم اي اخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا
لو اظهرت لآمنا معك وقيل السماع بمعنى القبول فان قلت

قال اولا مالي لا اعبد الذي فطرني وههنا آمنت بربكم ولم يقل
بربي قلنا ان خاطب الرسل فالامر ظاهر لانهم علموا انه
قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه واذا قال بربي
فلعلهم كما يقولون كل كافر يقول لي ربي انا مؤمن به وان
خاطب الكفار ففيه بيان التوحيد لانه لما قال اعبد الذي
فطرني ثم قال امنت بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد
وهو الذي فطرني قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي فلما قال آمنت بربكم فاسمعون وثب القوم
عليه بجملتهم وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود
وطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره قال السدي
كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه
وقال الحسن حرقوا احرقا في خلقه فعلقوه من سور المدينة
وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق

فذلك

فذلك قوله عز وجل قيل ادخل الجنة فلما افضى
الى الجنة قال ياليت قومي يعلمون الاية وما انزلنا
على قومه من بعده من جند من السماء فلما قتل حبيب
غضب الله له وعجل له النقمة فامر جبرائيل عليه السلام
فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله
عز وجل وما انزلنا على قومه الايه فان قلت اسند الفعل
هنا الى نفسه وفي قيل ادخل الجنة الى غير مذكور قلت
ان العذاب من باب الهيبة فذكر بلفظ التعظيم
ولما كان الجنة كالمهيأ له يقول كل ملك وصالح
له ادخل الجنة خالدا لذا وذكره بقيل اشارة الى انه
دخول باكرام كما يدخل العروس البيت المزين قيل
الرسل اولى بكون القوم لهم فلم اضافهم نضيف اليه فلم
قلنا المقصود التفرقة بين الاثنين هما من قبيل احدهما

مكرهم بالايمان والآخرىهان بالكفر او لاختصاص
العذاب باقاربه لان غيرهم من قوم الرسل لايمانهم
بهم وانما خصص عدم الانزار فى الذكر بما بعده لان
استحقاقهم بالاصرار كان بعده قيل لم يرسل عليهم
ايضا من الارض فما فايدة قوله من السماء قلنا اراد
بامر من السماء فيعم الارض وقيل العذاب نزل من السماء
فبين انه لم يكن جندا لهم عظمة وانما اهلكوا بصيحة
وما كنا منزلين اى ما كان ينبغى لنا ان ننزل لتمام
الامر به وقيل ما كان منزلين فى مثل تلك الواقعة
قيل فكيف انزل فى يوم بدر وغيره حيث قال فانزل
الله ريحا وجنودا لم تروها قلنا ذلك لتعظيم محمد
صلى الله عليه وسلم والا فتحريك ريح من جناح ملك
كاف وما كان رسل عيسى عليه السلام فى درجة

محمد صلى الله عليه وسلم ان كانت الا صيحة واحدة
تاكيد لكون الامر هينا وقوله فاذا هم خامدون
اشارة الى سرعة الهلاك اذ لم يتاخر خمودهم
عنها ووصفهم بالخمود حسن لان الحرارة الغريزية
كلما كانت اوفر كانت القوة الغضبية والشهوية
اتم وهم كانوا كذلك قتلوا مؤمنا ينصحهم لشدة الغضب
واحتملوا العذاب الدايم لاستيفاء اللذات العاجلة
فكانوا كالنار الموقدة وكانوا جبارين مستكبرين كالنار
ومن خلق منها وايضا فالعناصر يتبادل فالحجر
يصير ماء وبالعكس ولكن ذلك بزمان فى العادة
واما الهواء فيصير نارا بالاشتعال والنار هواء
بالخمود فى اسرع زمان فشبه اهلاكهم بخمود النار
فى السرعة كانطفاء سراج او شعلة يا حسرة على العباد

اى هذا وقت الحسرة فاحضرى يا حسرة والتنكير
للتكثير والتعريف فى العباد والمعهودين وهم الذين
اخذتهم الصيحة اولتعريف الجنس جنس المكذبين
وفى المتحسر وجوه الاول لامتحسر اصلا والمقصود
انه وقت الحسرة لتحقق الندم عند تحقق العذاب
وهنا بحث وهو ان المفعول قد يترك اذا لم
يتعلق به غرض فيقال فلان يعطى ويمنع اى له
المنع والاعطاء ورفض الفاعل قليل الثانى
ان القائل هو الله تعظيما للامر وتهويلا وهى كالالفاظ
الواردة فى حقه تعالى كالضحك والنسيان والسخرية
والتعجب والتمنى والثالث ان المتحسرين من الملائكة
والمسلمين فان حبيبا حين قتل يقول اللهم اهد
قومى وبعد ما قتل وادخل الجنة قال يا ليت قومى

يعلمون فعلم جواز ان يتحسر المسلم للكافر والندم
له ثم بين سبب الحسرة فقال ما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤن فان من جاءه ملك فى بادية
وعرف نفسه وطلب منه ما هينا فكذبه ثم وقف
بين يديه على سرير ملكه فعرفه انه ذلك كان
عنده من الندامة ما لا مزيد كذلك الرسل
ملوك واعظمهم باعزاز الله وجعلهم نوابه
كما قال عز وجل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله ولا عظمة لهم فى الحس ويوم القيمة امرا
عند ظهور الباس يظهر عظمتهم وما طلبوه كان
هينا نفعه بما يريد اليهم ولم يسالوا عليه اجرا
فالندامة عظيمة كيف ولم يقنعوا بالاعراض
حتى آذوا واستهزؤا والضمير فى ما يأتيهم يجوز عوده

الى قوم حبيب ای ما یاتیهم من رسول من الرسل الثلثة
على قولنا الحسرة عليهم ويجوز عوده الى الكفار المصرين
قوله احقاء بان يتحسروا او يتحسر واعليهم فعلى
الاول يكون المتحسرين الملائكة والمؤمنين فعلم منه
جواز تحسر المسلم للكافر والتندم له وعلى الثاني
يكون المتحسرين المهلكون من القوم الكافرين قوله
ويجوز ان يكون تحسرا من الله تعالى عليهم على سبيل
الاستعارة وجهها ان الله تعالى منزه عن الحسرة والتحسر
لانه عبارة عن كسر القلب وتحزنه وندامته فتخيل
ذلك في حق الله تعالى فاطلق عليه على سبيل الاستعارة
ليعلم ان ما فعلتم من التكذيب والعناد وقتل الحبيب
لنصحهم خير الدارين امر عظيم فله عقوبة شديدة
في الدنيا والاخرة وذلك للتنبيه للحاضرين ان لا يرتكبوا

على امثال هذه الافعال القبيحة قوله ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها هو جواب عمن يقال ان المنادى
اذا كان مفردا يكون مبنيا على الضم فكيف يكون حسرة
منصوبة وجه الجواب ان المنادى لطولها بالجار
المعلق بالحسرة وهو على يكون مشابها للمضاف
فنصب لان المنادي يكون منصوبا اذا كان يكون مضافا
او مشابها بالمضاف كيا طالعا جبلا قوله وقيل باضمار
فعلها يعني ادعوا والمنادى محذوف وهو المتحسرون
والنادمون فاقيم الحسرة مقامه للمبالغة كان الحسرة
بالغ في درجة يكون شخصا متحسرا نادما فنادي
اليه على كمالها يقال لها عند البلغاء التجريد
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من القرون انهم اليهم
لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون لما بين

حال الاولين قال للحاضرين وهو اهل مكة الم تعتبروا
ان ما قبلكم اهلكوا لعصيانهم وعدم اطاعتهم الى نبيهم
فيكونوا احقاء الى العذاب الشديد ولم يرجعوا الى الدنيا
موجودا حتى يتداركوا تقصيراتهم بل يكونون محشورين
يوم القيمة موجودين عندنا للمجازات لعصيانهم
وللعذاب الشديد الدايم ويحتمل ان يكون المعنى
الم يروا المهلكين الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون
اى اهلكوا بحيث لا رجوع لهم وقيل الباقون لا يرجعون
الى المهلكين بنسب ولا اولاده يعنى قطعنا نسلهم ولا شك
ان الاهلاك مع قطع النسل اتم واعم وهذا اظهر
عقلا والاول اشهر نقلا وليس من اهلكهم تركهم
ابدا نسيا منسيا لا بالعذاب ولا بالمغفرة بل جمع بعد
اهلاكهم عنده للحساب والحبس والعذاب لو انا اذا عصينا

تركنا لكان الموت راحة كل حى ولكنا اذا متنا بعثنا
وسئلنا بعد عن كل ما فعلنا وهذا معنى قوله وان كل لما
جميع لدينا محضرون يعنى انهم مهلكون بالعذاب فى الدنيا
فينقطع عن اهلهم غير راجعين اليهم فاذا وجدوا ارجعوا
للعذاب فهم محرومون فى الدارين ومعذبون بخلاف المؤمنين
وان فارقوا عن اهلهم غير راجعين لكن موتهم ليس بالعذاب
ويوم القيمة موجودون للمغفرة والاحسان بواصلة الاولاد
والاقربان والواو فى وان كل لعطف الحكاية على الحكاية
كانه قيل بينت لك ما ذكرت وان ابين ان كلا لدينا محضرون
وقيل قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا الاية فى حق قوم انطاكية
والمعنى ان كل قوم اهلكوا قبلهم لتكذيبهم الرسل ولم
يرجعوا فى الدنيا بل هم محضرون للعذاب يوم القيمة عند
الملك القهار فلم لم ياخذوا العبرة والنصيحة منهم قوله

بدل من كم على المعنى لا على اللفظ اى الم يروا كثرة لان
العامل في البدل يجب ان يكون عاملا فى البدل منه
الم يروا اذا اقيم البدل مقام المبدل منه يعمل فيه
ولم يعمل في البدل لاقتضاء كم صدر الكلام فلا يمكن ان يكون من لفظه
بل من معناه وآية لهم الارض الميتة وجه التعلق بما قبله
لما اثبت الحشر بقوله محضرون ذكر ما يدل على امكانه
قطعا لانكارهم اليه فقال وآية لهم الارض الميتة
احييناها يعني القادر على احياءها قادر على احياء
الموتى لما ذكر حال المرسلين واهلاك المكذبين
وكان شغلهم التوحيد اى كان مقصود المرسلين
التوحيد فنفى قوم انطاكية اياه فاشركوا ذكر ما يدل
عليه فان قلت الارض آية مطلقا فلم خصصها بهم قلت
الآية ذكر لمن لم يعرف فاما من عرف فلا يذكر له والنبي عم

وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل السماء والارض
فان قلت هب ان الانبياء عليهم السلام والمومنين
لم يحتاجوا الى دليل التوحيد لكن المشركين المحتاجين
اليه كثير فلم حصر الى مشركي مكة او قوم انطاكية قلت
ليس المراد الحصر بل المعنى وآية لهم وامثالهم لكنه
ذكر من يقتضي سوق الكلام ولم يذكر غيرهم اعتمادا
على اشتراك الدليل فان قلت ان ذكرت الاية للاستدلال
على جواز الاحياء فيكفي احييناها ولا حاجة الى ما بعده
وان كان للاستدلال على وجود الله وتوحيده فلا فايدة
في ذكر الميتة لان نفس الارض دليل ظاهر قلت ذكرت
للاستدلال عليهما ولكل فايدة فلاخرجنا منها فايدة
في بيان احياء الموتى لانه لما احياها واخرجنا منها حبا
كان الاحياء تاما لان الارض المخضرة اذا لم ينبت الزرع

ولم يخرج الحب دون ما ينبته ويخرجه في الحيوة فكانه
قال الذي احي الارض احياء كاملا يحيي الموتى كاملا بحيث
يدرك الامور ولهذا المذكورات فايدة بالنسبة الى التوحيد
ايضا الان فيه تقدير النعم الكثيرة لهم والنعم الكثيرة تقتضي
الشكر الكثير وشكر النعم انما يكون بالعبادة والانقياد
فمن انتفع بالنعم الكثيرة من القادر المطلق فبعد الى من لا يقدر
على شيء فكيف شكر الانعام فيكون من الذي لا يفرق النافع
من غير النافع والقادر عن العاجز ومن الذين يكفرون النعم
من غير باعث فمثل هذا الرجل الدني القبيح يستحق العذاب
الاليم والنعم المعدود في هذه الاية وهي خلق الارض نعمة اولى
فانها مكانهم وفيه حركاتهم وسكناتهم واحياءها بالخضر
يحصل بمخالطة الماء الارض نعمة ثانية واخراج الحب منها
نعمة ثالثة اذ يصير قوتهم منه وانبات الحبات كله سنة

نعمة رابعة وخلق في انواع النخل والعنب فيها بحيث
يكون حدايق وبساتين مقومة نافعة نعمة خامسة وتفجير
العيون فيها التي يشرب منها الحيوانات ويسقي الاشجار
نعمة سادسة وهو الخبر قوله والمبتداء والاية خبرها قوله وهي
يرجع الى الارض واذا كان الارض مبتدا واية يرد
عليه لا يجوز ان تكون مبتداء لان المبتداء يجب ان يكون
معرفة او مخصصا ولا يوجد احدهما فيه فلا يكون مبتداء
ويمكن ان يجاب عنه ان المبتداء هنا مخصص لقوله تعالى
لهم قوله وقيل الضمير لله تعالى لان الثمار بعد
وجود الاشجار وجري الانهار لم يوجد الا بالله
فالثمر بعد جميع ما يظن انه سبب وجوده ليس الا بالله
واراده فهي ثمره بيان طريق الالتفات لانه تعالى
ذكر نفسه من قبل على طريقة المتكلم بالغير على طريقة

التعظيم وهنا على طريقة الغيبة ويحتمل العود
الى النخيل وترك الاعتاب للعلم بما سبق بانها فى حكمها
فى الانتفاع ويجوز ان يراد بالثمر الفوايد يقال
ثمرة التجارة الربح وثمرة العبادة الثواب فيعود
الى التفجير المدلول عليه بفجرنا كانه قال وفجرنا
فيها من العيون تفجيرا ليا كلوا من فوايد التفجير وهي
اكثر من الثمار يدخل فيها ما يدخل في قوله انا صببنا
الماء صبا الح والتفجير اقرب من النخيل فى الذكر
قوله والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس هذا
على تقدير كون الماء ماء موصولة فاذا كان ذلك
يحتمل ما عملته بالتجارة كانه ذكر النوعين الزراعة
والتجارة ومن النبات ما يوكل من غير عمل الايدى
كالعنب والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه كالعصير ولا يوكل

الا مطبوخا قوله امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه
والامر بالشكر امر بالتوحيد فى العبادة لان شكر
النعم العبادة والخدمة الى المنعم فقط والعبادة
الى غير المنعم او كان مع غير المنعم مساويا ليست
بشكر للمنعم فلا يكون صاحبها فارقا بين المحسن
وغير المحسن فلا يكون من العقلاء بل يكون
من الحيوانات بل هو اضل سبحان الذى خلق
الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما
لا يعلمون هذا ترق فى دليل التوحيد والقدرة
على احياء الموتى بذكر قدرة الله تعالى جميع الاشياء
فى السموات والارض وما بينهما بعد ذكر بعض
مخلوقاته يعنى سبح تسبيحا الذى خلق جميع الاشياء
من ان يكون له شريك او يعجز احياء الموتى فان قلت

تما تنبت الارض يخرجه عن العموم لقوله اعطيت زيدا
كل ما ملكته من الثياب قلنا انما يكون ذلك اذا كان
من لبيان التخصيص اما اذا كان لتاكيد العموم
فلا كقولك اعطيته كل شئ من الدواب والثياب
والعبيد والاماء فانه يفهم منه عدم الاصناف تاكيد
العموم يؤكده قوله تعالى الذى خلق الازواج كلها
وجه الدلالة على احياء الموتى ان القدرة الى جميع الاشياء
من السموات والارضين وما بينهما لا يعجز عن خلق
شئ سواء كان اولا او ثانيا وعلى التوحيد اذا كان
الله تعالى خالق جميع الاشياء سوى ذاته يكون مخلوقا
كلها فلا يكون مخلوق معبودا او شريكا للخالق
فان قيل من اين يفهم ان الآية المذكورة ان يكون
دليلا لاحياء الموتى والتوحيد اى لا يكون فيه

دلالة عليهما فضلا عن ان يكون ترقيا فيه قلنا
لما ذكر الله تعالى بعض المخلوقات لاجل ان يكون
آية لهما وذكر بعده جميع المخلوقات بتنزيه خالقها
يفهم بقرينة السباق والسياق لا يقع هذا التنزيه
الا من الشريك على طريق الاقوى والاولوية وايضا
خلق الاصناف من العرش الى الثرى من غير روية
وتفكر على ما سبق فى علمه فى الازل له على مثال يدل
على ان يكون منزها من ان يكون له شبيه ونظير
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
قيل المراد الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل قلنا
لما استدل بالمكان المظلم وهو الارض استدل
بالزمان المظلم وهو الليل وايضا فالليل فيه سكون
الناس وسكون الاصوات والنوم وهو كالموت وبعد
سكونه

طلوع الشمس كالنفخ في الصور فيتحرك الناس فذكر
من الزمانين اشبههما بالموت كما ذكر بالمكانين ذلك
ومعنى سلخ النهار من الليل تميزه منه يقال انسلخ النهار
من الليل اذا اتى آخره ودخل الليل وسلخه الله
منه فانسلخ واما سلخت النهار والشهر فمعناه دخلت
في آخره قيل الليل في نفسه آية فما الحاجة الى ذكر سلخ
النهار منه قلنا الشيء يتبين بضده منافعه ولهذا
لم تجعل الليل وحده آية في موضع الا ذكر النهار معه
فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام ليس بعدهم
بعد امر ولابد من دخولهم فيه والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم الواو يحتمل العطف معنى وآية
لهم الليل والشمس تجري والقمر قدرناه فكلها آية
وتجريان الشمس للاستقرار سبب سلخ النهار ايضا

فانها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار
وفايدة ذكر السبب انه لا يبعد من جاهل ان يقول سلخ
النهار ليس من الله فانه ينسلخ بغروب الشمس فقال
والشمس تجري لمستقر لها بامر الله سالخ النهار فبذكر السبب
صح الدعوى وقيل وعلى هذا الواو في قوله والشمس يحتمل
ان يكون للحال كما يحتمل ان يكون للعطف على الليل
وقيل هو اشارة الى نعمة النهار بعد الليل ويحتمل كون
اللام يفضي الى قيل كانه لما قال نسلخ منه النهار ذكر ان الشمس
تجري فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه
ويحتمل كون اللام بمعنى الى قيل المستقر غاية ارتفاعها
في الصيف وانخفاظها في الشتاء اي تجري الى ان تبلغه
فيرجع وقيل هو غاية مشارقها ففي كل يوم لها مشرق الى ستة
اشهر ثم تعود على تلك المقنطرات وقيل هو الدايرة التي

عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج وقيل تجري
مستقرها قال اصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك
يدور فيدير الشمس فالشمس تجري بجري مستقرها وقالت
الفلاسفة تجري لامر لو وجدته لاستقرت وهي الاوضاع
الممكنة فاجاب الله عنه بقوله ذلك تقدير العزيز العليم اي
ليس لارادتها وانما هو لارادة الله تعالى وتقديره وتسييره
اياها والمختار انها تجري لبلوغ مستقر لها وهو غاية
الارتفاع والانخفاض فانه يشمل المشارق والمغارب والسمت
الذي لا يختلف قوله ذلك اي ذلك الجري والمستقر تقدير
الله العزيز اي الغالب بكمال القدرة العليم اي الكامل بكمال
العلم قدر على اجرائها على الوجه الانفع وعلى علم الانفع
بيانه انها تمت ستة اشهر كل يوم على مسامتة شيء لم يمت
من اسمها عليها ولو قدر دورها على مسامتة شيء واحد

لاحرقت موضع المسامتة وبقي الجمود في ساير المواضع
فقدر لها بعدا لتجتمع الرطوبات في باطن الاراضي
والاشجار في الشتاء ثم قدر قربها بتدريج ليخرج النبات
والثمار وينضج ويجف ثم يبعد لئلا يحرق وجه الارض
واغصان الاشجار وقدر لها في كل يوم طلوعا وكل
ليلة غروبا لئلا يكل القوى والابصار بالسهر والتعب
وجعل سيرها متوسطا في البطوء والسرعة اذ لو ابطأ
لدام الحر في موضع معين ولو اسرع لم ينضج الثمار
قال ابو ذر قال النبي عليه السلام في بيان استقرار الشمس
لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش
فيستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد تستاذن فلا
يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها

فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال بعض
المحققين فى تاويل قوله وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار الى قوله تعالى والقمر قدرناه عرف الله تعالى
اهل معرفته نفسه بآيات المكاشفات وطلوع شموس
المشاهدات والغيبة والاستتار بعد حين هم
في ضياء المشاهدة ونور المشاهدة فيقبض منهم المواجيد
والحالات قبضا يسيرا بحيث لا يعرفون ذهابه
حتى بقوا فى الحجاب فاذا دجى ليل الفقدان عليهم وقعوا
فى اودية الحيرة من طلب شمس المشاهدة فتلك الشمس
تجري لمستقر لها ينكشف شمس الجلال من مشارق
الآزال على اوقاتهم بمقادير الارادة الازلية فيكون
الوقت سرمدا بغير فترة ولا انتقال ويدل عليه قوله تعالى
ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالعرجون القديم والعرجون عود العذق الذى
عليه الشماريخ فاذا قدم وعتق يبس وتقوس واصفر
فشبه القمر فى دقته وصفرته فى آخر المنازل به قال بعض
المحققين فى تاويله يبدو لاهل المعرفة فى اوايل الاحوال
انوار الصفات فيزيد لهم وضوح وكشف فيربيهم على
سنن الواردات حتى صاروا فى مشاهدة بلا كمال الصفات
فاذا كادوا ان يفنوا فى تلك الحالة يغيب عنهم انوار
الصفات حتى يبقى لهم اللمعان والبروق ويصير البدر
لهم هلالا فيتراؤن هلال جمال الصفات بابصار قلوبهم
فى سماء اليقين وهذا من لطف الله لهم الذى يربيهم
على قدر الاحوال فى مقامات مشاهدة الذات والصفات
قبضا وبسطا قيل فى قوله والقمر قدرناه الاشارة منه
ان العبد فى آوان الطلب رقيق الحال ضعيف اليقين مختصرا

الفهم فيتفكر حتى يزداد بصيرته ويكمل حاله ثم يصير كاملا
ثم يتناقص ويدنو من الشمس قليلا قليلا وكلما ازداد من الشمس
ودنوا ازداد في نفسه نقصانا الى ان يتلاشى ويخفى ولا يرى
ثم يبعد عن الشمس لا يزال تباعدا حتى يصير بدرا من الذي
يصير على ذلك الا انه تقدير العزيز العليم فتشبيه الشمس
عارفا بدا في ضياء معرفته صاحب تمكين غير متلون بشرق
من بروج سعادته دايما لا ياخذه كسوف ولا يستره سحاب
ويشبه القمر عند تلون احواله في التنقل صاحب تلوين له
من البسط ما يرقيه الى حد الوصال ثم يرده الى القبض ويقع
في النقص ما كان فيه من صفاء الحال فيتناقص ويرجع
الى نقصان امره الى ان يدفع قلبه عن وقته ثم تجود عليه
الحق سبحانه فيوفقه لرجوعه عن فترته وآفاته عن سكرته
فلا يزال يصفو حاله الى ان يقرب من الوصال ويرتق

صفة الكمال ثم بعد ذلك ياخذ في النقص والزوال وقوله
في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان
يعني ولو تحركت الشمس اسرع من القمر لكان في الشهر الواحد
صيف وشتاء فلم يدرك الثمار ولا يتكون النبات فيختل
تعيش الحيوان وقوله او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنور
الى محله او سلطانه فتطمس نوره اي تطمس الشمس نور القمر
لان نوره قوي فيطمس بالنور القوي وهو نور الشمس
واما عدم ادراكها في منافعه فلان لكل منهما آثارا
مختلفة فلا يحصل من احدهما ما حصل من الآخر ولا الليل
سابق النهار اي لا يسبق سلطانه وهو القمر سلطان النهار
وهو الشمس فيكون عكسا للاول اي عدم ادراك الشمس
القمر لان السبق والادراك معنيان متقاربان الا ان

فی الاول السیر عند الملایم لسیر القمر وقیل اللیل لا یدخل
وقت النهار وهو ایضاح واضح وللاول وجه وهو ان الشمس
والقمر اذا تقابلا فی الافقین ایام الاستقبال یغرب احدهما
اذا طلع الاخر وبالعکس کان لهما حرکة واحدة مع ان الشمس
یتاخر عن القمر کل لیلة فی الحس فلو کان للقمر حرکة واحدة
بها تسبق الشمس وللشمس حرکة واحدة یتاخر لبقیا مدة مدیدة
فی مکان واحد لان حرکتها فی کل یوم درجة فخلق الله فی الکواکب
حرکة اخری غیر حرکة الشهر والسنة وهی الدورة الیومیة
وبها لا یسبق کوکب کوکبا اصلا لان کل طالع یغرب مقابله
وکلما تقدم کوکب الی موضع کوکب اخری بالنسبة الینا
تأخر الآخر فبهذه الحرکة لا یسبق القمر الشمس فیتبین ان سلطان
اللیل لا یسبق سلطان النهار والمراد من اللیل القمر ومن النهار

الشمس وقوله لا الشمس اشارة الی حرکتها التی یتم فی سنة
وقوله ولا اللیل الی حرکتها الیومیة التی بها تعود من کل
نقطة الیها مرة اخری فی یوم ولیلة الفایدة فی اطلاق
اللیل وارادة سلطانه وهو القمر انه لو قال ولا القمر
سابق النهار لم یفهم ان المراد الحرکة الیومیة ویوهم التناقض
فان الشمس اذا لم یدرک القمر والقمر اسرع ظاهر الظن
انه لم یسبق فلیس باسرع فذکر اللیل والنهار لیدل علی
الحرکة الیومیة قیل فی قوله تعالی لا الشمس ینبغی لها ان
تدرک القمر الی قوله وکل فی فلک ای لا الشمس ینبغی لها
ان تدرک القمر ای لا یدخل النهار علی اللیل قبل انقضائه
ولا یدخل اللیل علی النهار قبل انقضائه وهو قوله ولا اللیل
سابق النهار ای هما یتعاقبان لحساب معلوم لا یجیء احدهما
قبل وقته وقیل لا یدخل احدهما فی سلطان الاخر لا تطلع

الشمس بالليل ولا تطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا
اجتمعا ادرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيمة وقيل
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اى لا تجتمع معه في فلك
واحد ولا الليل سابق النهار اى لا يتصل ليل بليل الا يكون
بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون الفلك الجسم
او السطح المستدير والدايرة وفلكة المغزل سميت بها
لاستدارتها وكذا فلكة الخيمة فعلى هذا السماء مستديرة
لكن المعترين على انها مبسوطة كالسقف المستوى واطرافها
على الجبال كما دل عليه والسقف المرفوع قلنا لم يرد
نص قاطع في كونها مبسوطة لان السقف المتقبب لا يخرج
عن كونه سقفا ويدل على استدارتها وجوه الاول
ان الممعن في السير في الجنوب يرى سهيلا وغيره مما لم يكن
يراه ويخفى عنه بنات النعش ولو كان السماء مسطحا

لبان الكل للكل الثاني ان الشمس اذا قارنت الحمل مثلا
فاذا ظهر لنا كوكب في منطقة البروج من الحمل الى الميزان
ثم في كل قليل يستتر ما كان غروبه بعد غروب الشمس
ويظهر ما كان طلوعه بعد طلوعها وبالعكس وهو
دليل ظاهر الثالث انه يظهر ضوء الشمس قبل طلوعها
وبعد غروبها ويستنير الجو ثم تطلع ولولا ان بعض
السماء مستتر بالارض وهو محل الشمس لما كان كذلك
بل كان عند عودها يظهر جرمها وضوءها معا لكونها
مستوية مكشوفة الرابع انه لو حصل كسوف نصف الليل
في المشرق وسئل عنه اهل المغرب لاخبروا عنه في ساعة
قبله لكن في وقت واحد فدل على ان الليل في جانب المشرق
قبل الليل في جانب المغرب فالشمس غربت في الشرق وهي
بعد ظاهرة لاهل المغرب وذلك لاستتارها بالارض

ولو كانت مستوية لم يكن كذلك الخامس انه لو كان سطحا
مستويا لكان الكوكب عند مسامتة رؤسنا اقرب
الينا منه عند كونه على الافق لان العمود اصغر من القطر
والوتر فكان يجب ان يرى اكبر قيل جاز ان يكون على
الافق في سطح السماء وعند المسامتة غايرا فيها بناء
على جواز الخرق عليها قلنا لا نزاع في الخرق ونقول فحو
يكون حركة الكوكب في دايرة لا على خط مستقيم وهو الغرض
ولكان القمر عند اهل الشرق وهو في منتصف نهارهم
اكبر لقربه من رؤسهم ضرورة فرضه على سطح السماء
الادنى وعندنا في تخمها وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون لما ذكر الله تعالى الاية في الاعلى وهي
الليل والنهار اللذان يحصلان بطلوع الشمس وغروبها
وهما من العلويات والشمس والقمر مع احكامهما المختصة

الدال على قدرته تعالى وهو منفصل عن الارض
ومنها ما ذكر

بهما ذكر فيما بينهما يعني منفصل عنهما غير متصلة
بهما آية على قدرة الله ايضا ليكون بكل من الاسفل
والاعلى والوسط آية مستقلة على قدرة الله تعالى
وايضا لما من باحياء الارض وهي مكان الحيوانات
بين انه لم يقتصر عليه بل جعل لنا طريق نتخذ
من البحر خيرا ونسير فيه كما في البر فهو كقوله تعالى
وحملناهم في البر والبحر ويؤيده قوله تعالى وخلقنا
لهم من مثله ما يركبون اذ اشتهر بالابل فانها كسفن
البراري وقيل لما ذكر سباحة الكواكب في كل مثله
وهو سباحة الفلك في البحار وتجوز ان يقال
ما انعم الله به على عباده منها ضروري ومنها نافع
والاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الارض واحياها
من الاول فانها المكان ولولاها لما وجد الانسان

وايضا الكون نكتة من الفلك آيات مستقلة غير متصلة

ولولا احياها لما عاش والليل والنهار ايضا منه لان
الزمان الذى لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر
وحركتهما لو لم تكن لما عاش ولما ذكر منه آيتين ذكر
من الثانى ايضا آيتين الفلك الذى يجرى فيتخرج
منه ما يتزين به كما قال ومن كل منه تاكلون لحما
طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها وترى الفلك
مواخر والثانى الدواب زينة كما قال الله تعالى لتركبوها
وهى فى البحر كالفلك فى البحر فى قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون فان الدواب زينة كما قال الله تعا لتركبوها
وزينة وقال ولكم فيها جمال فهو استدلال عليهم بالضرورى
والنافع لا يقال النافع ذكره فى قوله تعالى جنات من نخيل
واعناب لانا نقول ذلك تبع لانه لما خلق الارض منبتة
لدفع الضرورة وانزل الماء عليها لزم ان يخرج من الجنة

النخيل والاعناب والفلك مقصود لا تبع قال المفسرون
الذريات الاباء واللام للتعريف اى حملنا آباءكم فى فلك
نوح والاكثرون على ان الذرية لا يطلق الا على الولد
فعلى هذا ان اريد بالفلك سفينة نوح فالمراد انا حملنا
اولادكم الى يوم القيمة فيه وفيه اشارة الى كمال النعمة
اى لم يكن النعمة مقتصرة عليكم بل تعدت الى اعقابكم
هذا قول جار الله ويحتمل ان يكون تخصيص الذريات
بالذكر لان للموجودين كانوا كفارا لا فايدة فى وجودهم
فذكر الذرية اى لم يكن الحمل لهم وانما كان حملها لما
فى اصلابهم من المومنين فهم كصناديق لا قيمة لها فيها
جواهر نفيسة فاذا قيل لم تحمل الصندوق ولا قيمة له يقال
انما تحمل ما فيه وان اريد بالذرية الجنس فمعناه حملنا اجناسهم
لان ولد الحيوان من جنسه والذرية تطلق على الجنس لهذا

على النساء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن حمل الزراري
الى النساء وقال ذرارينا امثالنا اى هن من جنسنا
والضمير في آية لهم عايد على العباد حيث قال يا حسرة
على العباد وقال بعده وآية لهم كانه قال وآية للعباد انا حملنا
ذريات العباد ولا يلزم كون الضمير في الموضعين لاشخاص
معينين نحو لا تقتلوا انفسكم اى بعضكم بعضا واذا تقاتل
قوم فمات الكل يقال هم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين
يعود الى القوم ولا يراد اشخاص معينون بل المراد قتل
بعضهم بعضا كذا قوله وآية لهم اى لكل بعض منهم فقوله
حملنا ذريتهم اى ذرية العباد ولم يقل حملناهم لان يكون
الارض يعم كل احد فقال وآية الارض الى ان قال فمنه تاكلون
لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها
في عمره ولكن ذرية العباد لا بد لهم منه فان قيل كيف قال

وحملناكم في البر والبحر فلم يقل وحملنا ذرياتكم قلنا لما قال
في البر والبحر عم الخلق اما الحمل في البحر فلم يعم فقال
ان لم يحملكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب
والاخوان والاصدقاء قال وآية لهم الارض وآية الليل
ولم يقل لهم الفلك لان حملهم في الفلك هو العجب اما نفس
فليس بعجب كبيت من خشب ونفس الارض والليل عجب
لا قدرة عليهما لاحد الا الله **قوله** اوصبيانهم ثلثه ونساءهم
الذين يستصحبونهم الذين صفة صبيان وفاعل يستصحبون
النساء وضمير هم يرجع الى الصبيان وقوله لان الذرية ح
بيان سبب اطلاق الذرية على النساء فيكون من قبيل
ذكر الحال وارادة المحل ويكون من عموم المجاز وهو
معنى يعم الحقيقة والمجاز اعنى الصبيان والنساء وايضا
اذا كان المراد من الذرية الجنس يجوز ارادة النساء منها

لانهما من جنسنا قوله ان حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم

ح يعني المقصود هذا المذكور المفصل فحذف الآباء وذكر

الذريات ليدل على زيادة الامتنان والتعجب لان حمل

الذريات بلا آباء اعجب واغرب ولو ذكر الآباء لم يحصل

ذلك والذريات يطلق ايضا على الاباء كما مر فيما سبق

وخلقنا لهم من مثله ما يركبون الضمير في لهم عايد الى الذرية

اي حملنا ذرياتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون او

الى العباد الذين عاد اليهم قوله وآية لهم وهو الحق اذ الظاهر

عود الضماير الى شيء واحد ومن صلة على راي الاخفش

وسيبويه لا يجعلها صلة الا عند النفي فهي مبينة كانه

لما قال خلقنا لهم والمخلوق كان اشياء فقال من مثل

الفلك للبيان والضمير من مثله يعود الى الفلك عند [الاكثرين]

ونحو قوله وآخر من شكله ازواج فالمراد الفلك الموجهة

في زمانهم ويؤيده وان نشأ نغرقهم ولو اريد الابل كما قال

بعضهم لكان قوله وخلقنا لهم من مثله فاصلا بين متصلين

الى نغرقهم متصل ومتعلق الى قوله وآية لهم انا حملنا [ذريتهم]

في الفلك المشحون فيقع قوله وخلقناهم فاصلا بينهما

وتقديمه عليه لكون تعلقه الى [ما] قبله كثيرا من تعلقه [اليه] لان الكلام

في عد النعم واظهار قدرة الله تعالى والنعمة انما يتم بهما لان

الفلك مركب البحر والابل مركب البر فلو لم يذكر الابل لم يوجد

نعمة البر ويمكن عوده الى معلوم غير مذكور وخلقنا لهم من مثل

ما ذكرنا من المخلوقات في قوله الازواج كلها ونحوه ليأكلوا

من ثمره وفي قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون

اذا كان المراد من الفلك سفينة نوح ومن مثله الابل اشارة

الى ان المصدقين فازوا من الهلاك من قوم نوح بالدخول

في الفلك والمكذبين غرقوا وهلكوا فكذا هذا القوم ان آمنوا

فازوا وان كذبوا اهلكوا وان نشا نغرقهم فلا يامنوا حالة
النعمة عذاب الله في كل النعمة ثم ان قال الطبيعي ان المجوف
لايرسب اي لايذهب الى سفل البحر فلايغرق والسفينة تحمل
بطبعها قلنا ليس كذلك بل لو شاء الله اغرقهم ومن السفن
ما ينقلب وينكسر ومنها ما يثقبه حيوان فيرسب اي يذهب
الى سفل البحر باذن الله فهو ان شاء اغرقه من غير سبب
كقول اهل السنة او بسبب كما يسلم الخصم وهو الطبيعي فلا
صريخ اي لامغيث لهم يمنع الغرق ولاهم ينقذون اذا اغرقهم
لان الخلاص من العذاب اما بدفعه او برفعه بعد وقوعه ونحو
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولاينقذون وفيه فايدة غير الحصر
وهي انه لم يقل لا منقذ لهم لان من ليس من شانه ان ينصر
لايشرع فيه مخافة ان يغلب ويذهب ماء وجهه وانما ينصر
من من شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم ومن ليس شانه الايقاذ

اذا راى في شان المستغيث الايقاذ يشرع في الايقاذ وان لم
يثق بنفسه فقال ولاهم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم الا
رحمة منا ومتاعا الى حين يقسم الايقاذ الى الرحمة والمتاع
فمن علم انه يؤمن ينقذه رحمة ومن علم انه لايؤمن ينقذه
ليتمتع زمانا ويزداد اثمه وقيل هو بيان لان الزوال في الدنيا
لا بد منه فينقذه رحمة ويمتعه الى حين ثم يميته قوله او من السفن
والزوارق ويدل عليه قوله تعالى وان نشا نغرقهم وان كان المراد
الابل فلا يناسب ظاهرا الى قوله وان نشا نغرقهم لكن له مناسبة
في المعنى كما بين على وجه التفصيل في التابع واذا قيل لهم
اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم وجه التعلق انه لما عد
الآيات وكانت يفيد اليقين ولم يفدهم قال الله فلا اقل ... يجب
ان يحترزوا ويخافوا عن العذاب فان من اخبر بسوء تتقيه
احتياطا ولم يوجد والمقصود اظهار شدة عنادهم و توغلهم

في الجهل فكأنه قال اذا اقيم الدليل لا يعترفون به واذا قيل
لهم اتقوا لا يتقون فهم غاية الجهل لا مثل العلماء الذين يتبعون
البرهان ولا مثل العامة الذين يحتاطون ويؤيده قوله
لعلكم ترحمون بحرف التمني اي تخطئكم فان من يخفى عليه
وجه البرهان لا يترك الاحتياط معناه انكم لم تقطعوا
بها بالبراهين فاحتاطوا فيها فان ارباب اليقين يرحمون
جزماً والمحتاطون يرجى ان يرحموا والحق اتقوا راجين
الرحمة فان الله لا يجب عليه شيء وقيل الاتقاء نظرا اليه
يفيد الظن بالرحمة وان قطع به احد لخارج فذلك لا يمنع
الرجاء كالملك اذا اضمر اعطاءه من خدمه اكثر من اجرته
اضعافا فانه يصح ان يقول افعل كذا ولا يبعد ان يصل
اليك اجرتك اكثر مما تستحق وفي ما بين ايديكم وما خلفكم
وجوه اخر غير ما ذكره القاضي رحمه الله الاول ما بين ايديكم

50
من العذاب كالغرق المدلول عليه بقوله وان نشأ نغرقهم
وما خلفكم الموت الطالب لكم ان نجوتم من غيره فلا نجاة
منه يدل عليه قوله متاعا الى حين الثاني ما بين ايديكم
من امر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندهم وما خلفهم
الحشر فانكم اذا ايقنتم الامرين رحمكم الله قوله وجواب
اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل ح وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم متعلق بما قبله اي يا حسرة على العباد
ما يأتيهم من رسول وما تأتيهم من آية يعني اذا جاءهم الرسل
كذبوهم واذا جاءتهم الآيات اعرضوا عنها وقوله الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم الى قوله لعلكم ترحمون كلام بين
كلامين متصلين ويحتمل ايضا اتصاله بما قبله فانه
لما قال واذا قيل لهم اتقوا وكان فيه تقدير اعرضوا

قال ليس اعراضهم مقتصرا عليه بل هم عن كل آية معرضون
واذا قيل لهم اتقوا اقترحوا آيات كانزال الملك وغيره فقال
وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين قيل
وكانوا زايد معناه لا يعرضون عنها اي لا ينفعهم ومن كذب
بالبعض هان عليه تكذيب الكل ويمكن ان يقال ان قوله
كانوا لتحقيق الاعراض في الماضي على سبيل الاستمرار واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اشارة الى اخلالهم بمجموع التكاليف
اذ على المكلف التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
وهم تركوا التعظيم حيث قيل اتقوا فابوا والشفقة حيث
قيل انفقوا فلم ينفقوا لطيفة هم خوطبوا بادنى درجات التعظيم
والشفقة فلم ياتوا بشيء منه وعباد الله المخلصين خوطبوا
بالادنى فاتوا بالاعلى بيانه انهم امروا بان يتقوا ما بين
ايديهم من العذاب والآخرة وما خلفهم من الموت او العذاب

وسوا في الاتقاء واما المخلص فيتقي من ان تغير قلب الملك
منه وان لم يعاقبه ويتقي المخالفة سواء عوقب او لا واما
الشفقة فقيل لهم انفقوا مما اي بعض ما هو لله في ايديهم
فلم ينفقوا والمخلصون آثروا على انفسهم وبذلوا كل
ما في ايديهم بل انفسهم صرفوها الى نفع عباد الله ودفع
الضر عنهم واعلم كما لم يرجع فايدة التعظيم الا اليهم
لان الله مستغن عن تعظيمهم كذا فايدة الشفقة فان من لا يرزقه
المتمول يموت ولا بد ان يصل رزقه اليه لكن السعيد
من قدره الله على يده ايصال الرزق الى غيره قوله تعالى
مما رزقكم الله اشارة الى ان البخل به قبيح فان ابخل
البخلاء من يبخل بمال غيره والى ان العاقل لا ينبغي ان يبخل
مخافة الفقر فان الذي رزقه يخلف عليه بدله من الذي
انفقه فان قيل حذف الجواب عند قوله واذا قيل لهم اتقوا لم

واتى بالجواب وزاد عند قوله واذا قيل لهم انفقوا قلنا لانهم
كانوا معترفين بحسن الانعام مفتخرين به الا انهم اوردوه
ردا على المؤمنين قالوا نحن نزعم ان افعالنا منا فنقري
الضيف وعندكم الهكم يرزق من يشاء فلم تامروننا بالانفاق
فلما كان غرضهم هذا حكاه الله عنهم وفي الامر بالتقوى لم يكن
لهم رد على المؤمنين فاعرضوا واعرض الله عن ذكر اعراضهم
لانه معلوم قيل لم لم يقولوا انتفق مع ان الامر بالانفاق
قلنا هو اظهار غاية المخالفة لان الاطعام اقل درجات
الانفاق فهو كما لو قيل اعط زيدا دينارا فقال لا اعطيته
درهما مبالغة في المخالفة فان قيل كان كلامهم حقا فلم ذكر
في معرض الذم قلنا لانهم انكروا قدرة الله ولم يجوز الامر
بالانفاق مع القدرة وهو فاسد فان من له في يد الغير مال
وفي خزانته اموال ان شاء اعطى من الخزانة وان شاء امر

من عنده المال بالاعطاء ولا يقال له لم لم تعطي من الخزانة
ان انتم الا في ضلال مبين وصفوا المؤمنين بكونهم في ضلال
مبين لظنهم ان كلامهم متناقض بيانه ان قولهم انطعم
اشارة الى انه تعالى لو اراد اطعامهم لاطعمهم فلم نقدر
على اطعامهم لكونه تحصيل الحاصل وان لم يرده امتنع
منا اطعامهم على خلاف ارادته فكيف تامروننا بالاطعام
وايضا قالوا اراد الله تجويعهم فكيف نسعى في ابطال
مراده وانتم تامرون به فهو ضلال فيرد عليهم ان الضلال
فيهم لا في المؤمنين حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا
الى الطلب والامر ومثله الملك اذا اراد الهجوم الى عدوه
فامر الغلام باحضار المركوب لزمه امتثاله ولم يجز له طلب
السبب والشروع لابطاله الى دليل كيلا يفضي الى اطلاع
العدو فالادب في الطاعة اتباع الامر لا تتبع المراد والمناقشة

وايضا هذا سؤال عام يمكن ان يورد على جميع الطاعات المامورة
بان يقال لو اراد الله ما امرنا من الطاعة لوقع البتة سواء اردناها
او لم نردها فيكون ارادتنا تحصيل الحاصل وان لم يرد امتنع
صدور الطاعة منا على خلاف ارادته فكيف يامر الله تعالى بالطاعة
والجواب عن هذه الشبهة مطلقا ان الله خلق الانسان للعبادة
والمعرفة فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فخلق لهم
الارادة الجزئية التي يقدر بها طلب الاشياء فعلم الضار والنافع
والخير والشر بنصب الدلايل وارسال الرسل فكلف الامور الممكنة
لهم ولم يرد وقوع هذه الامور بالارادة القسرية فامتحنهم
بها فمن ذهب الى طريق الانقياد خلق الله لهم ذلك فاستحق به
الثواب فمن ذهب الى الطريق المخالفة فاستحق به العقاب فعلم
ان السعيد من يمتثل الامر بالاخلاص والشقي من لا يمتثل ولا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون **قوله** ويجوز ان يكون جوابا من الله تعالى

لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم بسبب ضلالتهم وما ذكره قبيل
منه حيث قال وهذا من فرط جهالتهم ح او ما ذكرناه وحققناه
آنفا تدبر ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اعتقدوا
ان ما امروا به من التقوى والانفاق لا فايدة فيه والوعد بالحشر
لا حقيقة له فان قيل ان للشرط والاستفهام لا يصلح جزاء
فما جزاؤه قلنا هو في الصورة استفهام وفي المعنى انكار
كانهم قالوا ان كنتم صادقين في وقوع الحشر فقولوا متى يكون
والظاهر ان خطابهم مع الانبياء لانهم المدعون للحشر
والوعد ما في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم
من قيام الساعة وهو معلوم وان لم يذكر لان الانبياء مقيمين
على تذكيرهم بالساعة وما يتبعها ما ينظرون الا صيحة واحدة
التنكير للتكثير قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا جازمين
بعدمها قلنا الانتظار فعلي لانهم فعلوا ما يستحق فاعله البوار

وتعجيل العذاب لولا حكم الله وعلم بانهم لايفوتون وايضا
فلما لم يكن الاستفهام حقيقيا قال ينتظرون انتظارا
غير حقيقي فان متى يفهم منه الانتظار وذكروا امورا يدل على ثانيها
سول الصيحة احدها التنكير يقال له مال اي كثير والوحدة
اي لايحتاج معها الى ثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ
ورابعها وهم يخصمون وسوتما يعظم به الامر لان الصيحة
المعتادة اذا وردت على غافل يرتجف فكيف بالصيحة
العظيمة فاذا وردت والغافل مع خصمه مشغول كان
الارتجاف اتم وقيل يختصمون في البعث وينكرونه فيكونون
غافلون عنه بخلاف من يعتقد وقوعه فتهيا له وانتظره
فانه لا يرتجف فليمثل بمن راى برقا وعلم ان سيكون رعدا
ومن لم يره ثم رعد الرعد ترى الراى العالم ثابتا والغافل
الذاهل مغشيا عليه وخامسها فلا يستطيعون توصية

اعلم ان قولهم فلان في هذه الحالة لا توصى ادنى من قولهم
لا يستطيع التوصية في الخوف والتحير فان من لا يوصي
قد يستطيع والتوصية قول يكون اسرع من الفعل فاذا
لم يستطيعوا كلمة فكيف حالهم في افعال يطول زمنها
واختيار توصية من بين الكلم يدل على عجزهم عن اتم المهمات
واستشعارهم الموت وتنكير التوصية للتعميم اي توصية ما
وسادسها ولا الى اهلهم يرجعون اي لا يمهلون الى الاجتماع
باهاليهم وقيل لا يرجعون الى الدنيا ومن يقطع بانه لا يجتمع
مع اهله ويعلم انه يموت لا بد له من وصية فهؤلاء لشدة الحال
لا يستطيعون التوصية وان علموا انهم لا يرجعون الى اهاليهم
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقال
ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والقيام غير النسلان
وقوله فاذا هم يقتضي ان يكونوا معا فكيف ذلك قلنا القيام

لاينافي النسلان لان الماشي قايم وكذا لاينافي النظر وقيل
لسرعة الامور كانها في زمان واحد قيل كيف يوثر النفختين
في الاحياء والاماتة وهما متضادان قلنا المؤثر هو الله والنفخ
علامة ثم الصوت الهايل يصل الى الاجسام فعند المجوفة
يفرق الاجزاء المجتمعة وعند الموت يجتمع المتفرقة والتحقيق
في اذا انها للظرف ومعنى المفاجاة انه ينفخ في الصور فاذا نفخ
فيهم ينسلون لكن الظرف فيه قد يكون معلوما فلا يتجدد
عند المشاهدة شيء نحو اذا طلعت الشمس اضاء الجو وقد لا يكون
فيتجدد نحو خرجت فاذا اسد في الباب فان وقت الخروج
ولم يكن قبله معلوما كانه فاجاه ذلك العلم فقيل اذا
للمفاجاة قيل اين يكون عند حدث وقد زلزلت الجبال
بالصيحة قلنا يجمع الله اجزاء كل جسم في موضع افترقت
فيه فيخرج منه ويوجد ثم وقيل الموضع موضع الهيبة وتقدم

ذكر الكاف والويب يدل على الرحمة فلو قيل بدله اسم يدل
على الهيبة هل كان اليق قلنا هذا في غاية الحسن فان من اساء
واضطر الى التوجه الى من احسن اليه يكون اكثر ندما
واشد الما قيل المشي يقدم رجلا ويوخر اخرى والنسلان
سرعة المشي قلنا ينسلون من غير اختيار وذكرنا انه
اراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ ارادته حيث ينفخ
فيكونون في وقت جمع وتركيب واحياء وقيام وعدو
في زمان واحد فقوله فاذا هم ينسلون يعني في زمان واحد
ينتهون ويصلون الى هذه الدرجة التي لا يكون الا بعد
مراتب قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قيل لو قال يقولون
يا ويلنا كان اليق قلنا ذكرنا انه اشارة الى انه في اسرع
زمان يجمع اجزاءهم ويولفها ويحييها ويحركها بحيث
يقع النسلان وقت النفخ مع انه لابد له من الجمع والتاليف

فلو قال يقولون لكان كالحال لينسلون وليس كذلك فان
قولهم ذلك قبل ان ينسلوا وذكر النسلان لما ذكرنا من بيان
سرعة نفوذ القدرة ويمكن ان يقال منشاء اظهار الضجر
والفزع ان الله تعالى لما لم يعذب الانسان بين النفختين
سواء كان كافرا او مسلما فكان الكافر ايضا امنا من العذاب
فكان في راحة فرويه الشدة يوم القيمة يذكر الراحة بين
النفختين فقالوا من بعثنا من مرقدنا كما اذا كان لاحدنا
حضور وراحة في النوم فايقظته واقمته فراى الشدايد
والفترات لاجرم يقول من بعثنا من مرقدنا ويحتمل ان يكون ذلك
القول منهم من اختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما
وقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها
صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اي ثم قالوا هذا ما وعد الرحمن

وصدق المرسلون اقروا حين لم ينفعهم الاقرار هذا مبتدء
وما وعد الرحمن خبره او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر
لمحذوف وهو هذا المقدرة او حق او مبتداء خبره محذوف
اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فهو من كلامهم وقيل
جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم الذي من بعثنا من مرقدنا
فان قيل ان السؤال لم يطابق الجواب لان السؤال عن الباعث
والجواب عن البعث قلنا الجواب عن البعث تنبيه على ان المهم
لكم السؤال عن البعث لا عن الباعث وايضا في الجواب
عن البعث التذكير لكفرهم وتقريعا لهم عليه وهذا باب
من باب البلاغة ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع
لدينا محضرون اي ما كانت النفخة او الواقعة الا صيحة واحدة
وقرات بالرفع فكانت بمعنى وقعت قال جار الله رحمه الله الاحسن
ان كان اذ المعنى ما وقع شيء الا صيحة واحدة واعلم لما

استهزاء الكافرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
انهم زعموا ان الله تعالى لا يقدر الاعادة بعد الاعدام فيكون
سؤلهم عن البعث استهزاء وسخرية لا لطلب العلم والاستعلام
المجهول لان خلافه متيقن على زعمهم ووقوعها ممتنع واصعب
فاجاب الله تعالى عن السؤال المذكور على وجه يفهم منه ان اصعب
الاشياء على زعمهم اهون الاشياء ويدل ايضا قوله تعالى من قوله
ما ينظرون الى قوله فاذا هم جميع لدينا محضرون على ان قدرة الله تعالى
قدرة عظيمة غير متناهية لا يدرك كنهها احد ولا يتصور كيفيتها
بحيث يعلم قدرة الله تعالى على اعادة الاعدام من له ادنى حصة
من الادراك ورايحة من التعقل وهو قوله في النفخة الاولى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون فان موت جميع الانسان بغتة
وفجاءة بلا اسباب ومرض بلا تقدم وتاخر وبلا تدارك وتوصية

مع اهلها وبلا انتقال الى مكان يموت فيه يدل على قدرة
عظيمة لا يصل افهام العقلاء الى وجهها فكيف كنهها ولا ينال
اولوا الالباب الى اماراتها فكيف يصل الى ذاتها وعينها بل تحير
العقول واولوا الالباب في فهمها وقوله في النفخة الثانية فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون وقوله ان كانت الا صيحة
واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ان العظام النخرة
من زمان آدم الى زمان يوم القيمة واللحوم الماكولة في بطون الحيوانات
والاجسام المتفرقة في البحار يعودون ارواحهم الى ابدانهم
الطرية كما في الابتداء ويحضرون عند خالقهم ورازقهم عقيب
النفخة الثانية بلا مكث وتاخير بلا تعب ومشقة يدل
قدرته العظيمة الغير المتناهية على وجه لو كان للمنكرين
رايحة من العقل يحترقون نار الندامة ويستغرقون بحر الحيرة
لتقصيرهم في حق الله تعالى وجهلهم وايضا يدل هذا

الجواب على ان الله تعالى قادر ان يخلق الاشياء بلا اسباب عادية التي
نشاهدها بل خلقه بالاسباب لامتحان عباده ايعتقدون ان صدور
الاشياء من الاسباب ام يعتقدون ان الفاعل الحقيقي هو الله تعالى
والاسباب صورة لا يحتاج اليها وجه دلالة الجواب عليه ان جميع
بني آدم بل جميع الحيوانات الموجودة المخلوقة على من قال حشر
جميع الحيوانات في الحشر يحضرون عند الله بعد النفخة بلا تراخ
وتأخر يوجب العلم ان اعادة ارواحهم على ابدانهم واجتماع
المتفرقة في بطون الحيوانات واقعار البحار بلا اسباب علوية
لان ما يكون باسباب عادية لا يكون على هذا الوجه بل يجب ان يكون
بعد زمان وتراخ وتوقف كما هو حال الاسباب العادية في الدنيا
واعلم ان النفخة الثانية ادل على قدرة الله من النفخة الاولى
لان النفخة الاولى يحصل منها ان الحيوانات التي تحت الحيوة في ذلك
اليوم يموتون بغتة ولا يقدرون التدارك والتوصية والنفخة الثانية

يوجب ان بني آدم من ولادة آدم الى هذا اليوم بل جميع الحيوانات
يكونون احياء ويحضرون عند ربهم بغتة بلا تاخير وتوقف
ولا شك ان الآثار الواقعة من الاولى اقوى من الثانية فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فان قلت كيف يترتب عدم
الظلم على حضور بني آدم عند الله قلت ثبت بالآيات في مواضع كثيرة
وبالاحاديث ان من جملة اسباب الحشر والنشر والحساب والسؤال
والجنة والنار ارادة الله تعالى ان يفرق بين المطيع والعاصي
ويظهر العدل بينهما فعلى هذا يترتب عدم الظلم وهو العدل على احضارهم
عنده ثم اعلم ان الخطاب بقوله تعالى للكافرين قوله ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون معناه ولا تجازى الكافرون الا مقابلة عملهم
ولا يقع فضل الله عليهم فيفهم على طريق المفهوم ان المؤمنين
ليسوا كذلك فيقع فضل الله عليهم فيكون هذه الآية بيان يأس
الكافر لانه لما لم يقع فضل الله عليه ولم يكن لهم عمل يوجب الثواب

فمقتضى العدل ان يكون معاقبا فيلزم اليأس في غيره بشارة
المؤمن لان عدله عام وفضله مختص به فان قيل يفهم منها
انهم يجزون عين ما كانوا يعملون وليس كذلك بل يجزون به
والجواب ان هذا اشارة الى المبالغة في عدم الزيادة على عملهم
وعدم فضل الله عليهم لان الشيء لا يزيد على نفسه فكانه
قال يجزون بما عملوا في المساواة كانه عينه ويحتمل ان يكون
ما في ما كنتم للجنس تقديره لا تجزون الا جنس العمل ان كان
خيرا فخير وان كان سيئة فسيئة فيجزون بما يعملون من السيئة
والحسنة ونحو وجزاء سيئة سيئة ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون هذا بيان حال الحشر اي في شغل عن هول اليوم وتعبه
بوصول الثواب فليس عندهم عذاب في الحساب ولا غيرهم وفاكهون
متمم لبيان سلامتهم ولو لم يذكر لجاز انهم في شغل اعظم من التفكر
في اليوم واهواله فقال فاكهون اي شغلهم باللذة والسرور

لا بالويل والثبور ويحتمل ان يكون هو بيان لحالهم لا انهم شغلوا عن شيء
فالمعنى ان عملهم ليس بشاق بل هو لذيذ محبوب وقيل في شغل
عما توقعوه فانهم قالوا نطلب في الجنة كذا وكذا فلما راوا ما لم يخطر
ببالهم شغلوا به وذكروا وجوها اخرى كافتضاض الابكار وضرب
الاوتار وتزاور الاخوان وضيافة الله بالذ ما يمكن وفاكهون
خبران وفي شغل بيان ما في فكاهتهم فيه يقال زيد على عمله مقبل
في بيته جالس فلا يكون الجار والمجرور خبرا ولو نصب لكان
المعنى اصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال وقد قرئ به
والفاكه الملتذ المتنعم ومنه الفاكهة فانها لا يؤكل غالبا
الا للذة فكانه تعالى بين عدم الالم بقوله في شغل ووجدان
اللذة بفاكهين وعادم الالم فقد لا يكون ملتذا فبين انهم
على اتم حال ثم كمله بقوله هم وازواجهم فان اللذة قد تنقص
بالفكر في حال الغير فقال هم وازواجهم اي اشباههم في

وامثالهم في الايمان وقيل ونساءهم ح لا يبقى لهم تعلق قلب
واما من في النار من اقاربهم واخوانهم فيكونون منهم في شغل
في ظلال جمع ظل والمراد الوقاية من مظان الالم يختل حال
المكلف اما بسبب الشغل وان كان في مكان عال كالفاعل
في حر الشمس وغيره الالم يختل حال المكلف او بسبب المكان
كملاعبة الكواعب في المكان المكشوف او بسبب ماكل كالمتفرج
في البستان اذا اعوزه الطعام او بفقد الحبيب واليه اشار
اهل القلب في شرايط الصلوة الزمان والمكان والاخوان
فقال في شغل فاكهون اشارة الى نفي التعب وهم وازواجهم
اشارة الى عدم الوحدة الموحشة وفي ظلال على الارائك اشارة
الى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اشارة
الى دفع جميع الحوائج ومتكئون ادل وضع على القوة
والفراغة فان القيام يكون لشغل والقعود لهم واما

الاتكاء فدليل الفراغة والقوة والقدرة والارائك السرر
التي عليها الفرش قوله لهم فيها فاكهة اشارة الى عدم الجوع
وان ماكولهم فاكهة فان قلت ولحم طير مما يشتهون يدل
على صدق شهوتهم وهو الجوع قلت ما يشتهون يؤكد
عدم الالم لان الاكل قد يكون للتداوي من غير شهوة
فقال مما يشتهون لان لحم الطير قد يؤكل لضعف المعدة
وح لا يؤكل ما تشتهيه وانما ياكل ما يؤمر به وقوله لهم
فيها اشارة الى ان زمان الاختيار بيدهم وهم ما يدعون
اي دعاءهم لانفسهم مستجاب ولم يروا انهم يدعون فيستجاب
دعوتهم بعد الطلب بل لهم ما يدعون بلا حاجة الى الطلب
او نقول المراد الطلب والاجابة فان الطلب من الله ايضا
فيه لذة وكون المملوك بحيث يمكن من مخاطبة الملك
في حوائجه منصب عظيم والجبار قد يقطع حوائج الممالك قصدا

منه الى ان لا يخاطب سلام بدل ما يدعون وهو في المعنى
كالمبتدأ الذي خبره جار ومجرور نحو في الدار رجل
ولزيد مال وقيل سلام خبر ما يدعون ولهم لبيان الجهة اي ما
سالم لهم والسلام بمعنى السالم او التسليم يقال عبد سلام
للسليم من العيوب ونحوه لزيد الشرف متوفر وقيل سلام
منقطع عما قبله مبتدأ خبره محذوف اي سلام عليهم كانه
تعالى حكى لنا انهم في شغل ثم قال سلام عليهم كما قال
سلام على نوح وسلام على المرسلين قولا من رب رحيم قال
النبي صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع
لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم
من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا
من رب رحيم فينظر اليهم فينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء
من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحجب عليهم فيبقى نوره

وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم الملائكة قال مقاتل
يدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم
يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقوله تعالى قولا مصدر اي لهم
سلام يقوله الله تعالى قولا او يقوله الملائكة او سالم لهم قال الله
ذلك قولا او سلام عليهم اقوله قولا من رب رحيم لبيان ان السلام
منه وعلى هذا يحتمل التمييز لان السلام قد يكون فعلا فان من يدخل
على الملك فيطاطي راسه يقول سلمت عليه قيل في السلام
من رب رحيم وفي ساير الاكرامات نزلا من غفور رحيم
لان النزل وان دل على ما بعده من الاكرام او الاهانة
الا انه يجوز كون الملك واسع الرزق فيرزق نزيله وينافس
في غيره فقال غفور ليامن العبد من خوف العتاب بعد
واما السلام فذكر معه الرب لان الرب مع علو مرتبته
لا يرجى منه الالتفات فاذا سلم تعجب منه قال اهل التحقيق

اذا دخل اهل الجنة في الجنة وتنعموا بها يكشف الله لهم جماله
بالبداهة ويكونون في شغل من المشاهدة عن نعيم الجنة
ناظرون الى الحق بالحق ويفرحون بما نالوا من جماله وجلاله
قال ابن عطا شغلهم في الجنة استصلاح انفسهم لميقات
المشاهدة وهذا من اعظم الاشتغال وقال جنيد احياء
اقوام بالدرجة في مقعد صدق عند مليك مقتدر فهم متقلبون
في الدرجة واللقاء والرضوان والمشاهدة ثم من عليهم
بزيادة منه فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل شغلهم
حظوظ النفس عن هذا المعدل وهذا المنهل وسئل بعض
المشايخ عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله
قال لانهم في شغل فاكهون شغل النعم عن المنعم وقال الحسين
ان الحق قطع اهل الجنة بتجليه عن الالتذاذ بالجنة لانه
افناهم بتجليه عنها لئلا تدوم اللذة فيقع بهم الملل فرجعهم

الى اياهم بعد تجلي الحق لهم توفر اللذة عليهم وقال ايضا
سلام الله ازلي الى الابد غير منقطع عن عباده الصالحين
في الدنيا والآخرة لكن في الجنة يرفع عن اذانهم الحجب فيسمعوا
سلامه ونظروا الى وجهه كفاحا وامتازوا اليوم ايها المجرمون
اي امتازوا في انفسكم وتفرقوا كقوله تكاد تميز من الغيظ
ووجه النظم ان المجرم يرى رفع درجة المومن ونزول دركته
فيتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم اي لا دواء لالمكم فامتازوا
حسرة وقيل امتازوا عن المومنين لانهم يشاهدون ما يصل
الى المومن من الثواب فيقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم
من النار فلم يبق لهم اجتماع بهم وقيل امتازوا بعضكم من بعض
بخلاف ما للمومنين من الاجتماع باخوانه فاهل النار لهم حرج الحرقة
عذاب الفرقة ولا عذاب فوقه وقيل امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم
فما لكم اليوم من حميم ولا شفيع وقيل امتازوا عما ترجون واعتزلوا

عن كل خير ويحتمل انه تعالى يقول امتازوا فيظهر عليهم
سيماء يعرفون به كما قال يعرف المجرمون بسيماهم فالامر امر
تكوين كما في كن فيكون يقول امتازوا فيتميزون ويظهر
في وجوههم سواد قال القاضي رحمه الله اي تفردوا عن المؤمنين
وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فان قيل قوله تعالى وامتازوا انشاء والمذكور
فيما قبله اخبار والانشاء لا يجوز عطفه على الاخبار قلنا هذا
معطوف على الانشاء المقدر المفهوم من السابق لما قال الله
فاليوم لا تظلم نفس شيا بين عدله وهو يقتضي ان يقول للمطيع
ادخلوا الجنة وللعاصي وامتازوا اليوم فادخلوا النار والعدول
عن هذا الاسلوب الى الاسلوب الآخر وهو الاخبار عن تنعم اهل الجنة
ومقاماتهم الرفيعة مع ازواجهم ووصولهم على كل ما تمناهم
لترغيب الخلق اليها لان الاخبار على سبيل التفصيل ازيد واكمل

من الاجمال او يقال وامتازوا معطوف على ما قبله على طريق التاويل
اي يقول في حق الكافرين وامتازوا اليوم الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان هذا من جملة ما يقال لهم يوم القيامة
تقريعا والزاما لهم ويحتمل ان يكون لدفع ما يقال الانسان ظلوم جهول
والجهل عذر فاجاب بانه عذر عند عدم الانذار وقد سبق
ايضاح السبيل بافصاح الرسل وعهدنا اليكم وتلونا عليكم
ما يجب فعله وتركه والمراد بالعهد اوص وهو العهد مع ابينا
آدم بقوله وعهدنا الى آدم وقيل مع ذريته بقوله الست بربكم
قالوا بلى فانه يقتضي ان لا تعبد غيره والاقوى انه مع كل قوم
على لسان رسولهم قوله لا تعبدوا اي لا تطيعوا فان المنهي
ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد والامر فان قلت فنحن
مامورون بعبادة الامراء حيث امرنا بطاعتهم قلنا طاعتهم
اذا كان بامر الله لا يكون الا عبادة لله وطاعة له فان الملائكة

سجدوا لآدم ولم يكن ذلك الا عبادة لله وعبادة الامراء
فيما لم يأذن به الله فان قيل بماذا يعلم طاعة الشيطان
من طاعة الرحمن مع انا لا نسمع منه خبرا ولا نرى اثرا قلنا
عبادته في مخالفة امر الله والاتيان بالمأمور لانه امر به والشيطان
قد يأمرك وهو في غيرك فاذا امرك شخص بامر فانظر في موافقته
لامر الله فان لم يوافق فمعه شيطان يأمرك به فان اطعته فقد
عبدت الشيطان وان دعتك نفسك الى فعل فانظر الى الشرع
فان لم يأذن به فنفسك هي الشيطان او معها شيطان فان
اتبعتها فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر بمخالفة الله ظاهرا
فان اطيع فقد عبد والا فلا ترجع بل تقول اعبدوا الله
كيلا يهان ويرتفع شانك وينتفع بك اخوانك فان اجيب
فقد عبد فان اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر فزنه
باحد الموازين الاربعة يتبين لك حاله فالاول ان تعرض الامر

الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان
كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم يستبين لك بهذه
الميزان على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو (فاعرضه)
خير وان كان بالضد اتباعا بالطالحين فهو شر فان لم تتبين
لك بهذه الميزان فاعرضه على النفس والهواء فانظر ان كان
مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم
انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل
رجاء الى الله تعالى وترغيب فهو شر اذا النفس امارة بالسوء
لا تميل باصلها الى خير فيأخذ منه الموازين اذا نظرت وامعنت
النظر عيانا عنده لك خاطر الخير من خاطر الشر واعلم ان العبادة
الى الشيطان على تفاوت منها ما يقع والعامل يوافق فيه
جنانه ولسانه واركانه ومنها ما يقع والجنان واللسان مخالفان
للجوارح فمن ارتكب جريمة كارها بقلبه لذنبه مستغفرا لربه

يعبد الشيطان بالاعضاء الظاهرة ومن يرتكبها وقلبه
طيب ولسانه رطب بذكره كما انك تجد من يفرح بتردده الى باب
الظلمة للسعاية ويعد من محاسن شربه مع الملوك ويفتخر به
بلسانه وتجدهم يفرحون بامرهم الملك بالظلم وانقياده لهم
اويامرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما امروا به فالطاعة التي
بالاعضاء الظاهرة والبواطن ظاهرة مكفرة بالاسقام والالام
كما ورد في الخبر ومنه قوله عم السيف محاء للذنوب وورد
في الحدود انها كفارات وما يكون بالقلب فالاخلاص عند الله
بالتوبة والندم وما باللسان فهو قبيل ما بالقلب في الظاهر
وهذا يتضح بمثال فنقول اذا كان للملك امير وله غلمان هم
من خواص الامير واتباع من العامة فان خالف الامير او سادة
عدو الملك وصادقه لا يعفوا الملك الا اذا كان في غاية الصفح
وكان له عند الملك يد سابقة او توبة لاحقة وان صدر من خواصه

مخالفة وعلم بها فلم يزجر عدت المخالفة منه وان كره وانكر
حسنت معاتبته لا معاقبته لان اقدام الحاشية عليه دليل سوء
التربية وان صدر من الاباعد وبلغ الامير ولم يزجر عوتب
وان زجر استحق الاكرام وحسن من الملك ان يحسن الى المزجور
ان علم انزجاره اذا عرفت هذا فاعلم ان القلب امير والله
خاصته والاعضاء خدمته فالصادر من القلب هو الذنب العظيم من
فان اقبل على محبة غير الله فهو الويل العظيم المستعقب للعقاب
الاليم والصادر من اللسان محسوب على القلب ولا يقبل قوله
ان لم ينكر فعله والصادر من الاعضاء مع انكار القلب وحصول
الانزجار هو الذي حكى النبي عن ربه لو لم يذنبوا لخلقت اقواما
يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم واعلم ان الشيطان قد يرجع
عن عبد فرحا يظن انه اغواه حيث يراه ارتكب الذنب ويكون
بذلك رافعا لدرجته فان الذنب يكسر قلب العابد فيزول العجب

فيكون اقرب من المقربين لان من لم يذنب مقرب عند الله كما
قال لهم درجات عند ربهم وللمذنب التايب النادم منكسر القلب
والله عنده كما قال انا عند المنكسرة قلوبهم وفرق بين من يكون
عند الله ومن يكون الله عنده ولعل ما يحكى من ذنوب الانبياء
من هذا القبيل ليفضلوا على الملائكة المتعجبين بانفسهم وقد
يرجع الشيطان آخر لم يفعل ما امره وظن انه غلب الشيطان
ورده خايبا فيتبجح بنفسه وهو لا يعلم ان الشيطان غلبه ومن هذا
يتبين اختلاف الناس في ان المذنب هل يخرج من الايمان ام لا
وسبب الخلاف وقوع نظر الخصمين على امرين متباينين فالذنب
الذي بالجسد لا بالقلب لا يخرج بل قد يزيد في الايمان والذي
بالقلب يخاف معه الخروج ولذلك اختلفوا في عصمة الانبياء
والاشبه ان الجسدي جايز عليهم دون القلبي ثم لما نهى
عن عبادة الشيطان ذكر ما يحمل على قبول ما امر به والانتهاء

عما نهوا عنه بقوله تعالى انه لكم عدو مبين ابتداء العداوة
بين الشيطان والانسان بسبب تكريم الله آدم وبنيه لما رأى
ربه انه اكرمهم عاداهم فعاداه الله والاول منهم لوم لان الملك
اذا اكرم شخصا ولم ينقص من الآخر شيا اذ لا يضيق في الخزانة
فعداوة من يعادي ذلك المكرم لا يكون الا لوما والثاني من الله
كريم لانه اذا علم ان اكرامه منه والضعيف لا يصل اليه لولا كرمه
يعلم ان من يبغضه ينكر فعل الملك او ينسب الخزانة ضيقا
وكلاهما يحسن التعذيب فيعاديه اتماما للاكرام وترى كثيرا
من الناس على مذهب ابليس اذا راوا احدا عند ملك يحتى ما
ابغضوه وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس والملك اذا لم يتخلق
باخلاق الله لا يبعد الساعي ويسمع كلامه ويبعد من قربه
ويترك احترامه فان قلت كيف بان ابليس عداوته قلنا
لما عاداه وظن انه يبقى في منزلته وآدم في منزلته كمتباغضين

عند ملك كان الله عالما بضميره فابعده واظهر امره فاظهر
ما كان يخفيه لزوال الحامل على الاخفاء فقال لاقعدن لهم
صراطك وقال لاحتنكن ذريته فان قيل اذا كان الشيطان
عدوا فما بال الانسان يميل مراضيه ويكره مساخطه قلنا
استعان هو باعوان من عند الانسان وترك الانسان الاستعانة
بالله فاستعان بشهوة المخلوقة لبقائه وبقاء نوعه وجعلها
سببا بفساد حاله وبغضبه المخلوق لدفع المفاسد والضار فجعله
سببا بالمرء وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى ما يضره
كالمحموم يريد الماء البارد وهو يزيد مرضه وفاسد المعدة
يميل الى اكل الكثير وهو يزيد في معدته فسادا وصحيح المزاج
لا يشتهي الا ما ينفعه فالدنيا كالهواء الوبي لا يستغني
الانسان من استنشاقه وهو المفسد للمزاج ولا طريق له
غير اصلاح الهواء بالروايح الطيبة والرش بماء الورد

والخل كذا الانسان في الدنيا لا يستغني من امورها وهو
المعينات للشيطان وطريقه ترك الهواء وتقليل الآمال
وتحريف الهواء بالذكر الطيب والزهد فاذا صح مزاج عقله
مال الى الحق ولم يبق عليه في التكاليف كلفة ويحصل له
بالمعارف لذة ويعرف الشيطان بانه ليس له عليه سلطان
ومن العجايب ان كثيرا من الناس اذا ذكروا الشيطان يقول
لعنة الله عليه انه عدو الله وعدونا واذا قيل لهم انكم
شيطان او كالشيطان غضب على من قال ذلك لقباحة
الشيطان عنده قباحة كاملة وكذلك اذا استقبحوا احدا شبهوه
الشيطان لكون الشيطان اقبح المذمومات وابعد المردودات
عندهم ومع هذا يتبعون الشيطان في فعلهم وقولهم
على وجه يكون ذلك الاتباع بين المولى والعبد وبين العاشق
والمعشوق وبين المحب والمحبوب وهي الصادقين واذا ذكر الله تعالى

يقولون الله الهنا وخالقنا ومولينا ومبدانا ومرجعنا
وايضا يقولون انه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وانه
مستغن عن جميع المخلوقات وان جميع المخلوقات محتاج
اليه ومع هذا لم يتبعوا ما امره ولم يجتنبوا لما نهاه وذلك من غاية
الجهل ونهاية الحماقة اعوذ بالله من الجهل الذي لا يفرق به
بين الصديق والعدو وبين القادر والعاجز ولعلهم
مسحورون ذهب عقلهم بالسحر حتى لا يعلمون مخالفة فعلهم الى قولهم
ويكون البديهيات عندهم اخفى من النظريات وحصروا
النظر الى مراد النفس في الآن ولم تقلبوا الحدقة الى العاقبة
والمآل اللهم اهدنا الصراط المستقيم وارشدنا طريق
السوي والقويم واحفظنا من الضلالة والطغيان ويسر لنا
الرحمة والغفران وان اعبدوني هذا صراط مستقيم لما منع
من عبادة الشيطان حمل على عبادته لانه طبيب الارواح فاذا منع

مما لا ينبغي بالحمية لئلا يزيد مرضه امر بما ينبغي تقويته
لقوته المقاومة للمرض فان قيل لما منع عن عبادة الشيطان
لكونه عدو مبين فالمناسب في الامر بعبادة نفسه بقوله تعالى
وان اعبدوني ان يعلل بانه حبيب جلي قلنا ان المحبة لا توجب
المتابعة بل المحب قد يتساهل ويعتمد فيقول يحبني فلا حاجة
الى تحمل المشقة واختيار المحنة فيعتمد العفو فلا يفعل
ويترك المتابعة فيجب ان يذكر ما هو ابلغ الاشياء في الحمل
على العبادة وهو كونها طريقا مستقيما فان الانسان في الدنيا
في منزل مخوف وهو متوجه الى دار اقامة فيها اخوانه
والنازل في بادية خالية يخاف على زوجه وماله فلا يكون
عنده شيء احب من طريق قريب مستقيم آمن فلذلك قال
هذا صراط اشارة الى ان بني آدم في سفر وان الدنيا منزل
من منازله اذ لو كان مقيما لكان له ان يقول ما افعل بالطريق

وانا من المقيمين فان قيل ما الدليل على كونه متقيما قلنا
انه مسافر سفر راجع الى وطنه او تاجر له متاع يريد ان يتجر
فيه والله مقصد اما للوطن والله تعالى هو الوطن الاصلي لانه
جاء من ذلك الجانب المقدس ولان الوطن مقام الامن
والراحة والسفر مقام المشقة والمحنة ولا امن ولا راحة
الا عند ملك لا يزول ملكه وهو الذي ملكه دايم واما للتجارة
فلان التاجر لا يقصد الا موضعا علم لمتاعه فيه رواجا
والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده على ثلثة مراتب اقله
مثاب عليه ومجازيه باضعاف ما يستحقه وتفصيله ان اجر
عمل الصالح عنده على ثلثة مراتب اقله عشرة امثال العمل واوسطه
سبعمائة امثال العمل واعلاه يضاعف لمن يشاء الى غير النهاية
فالله هو المقصد الاقصى وعبادة العباد توجهت اليه فان قيل
لما قال لا تعبدوا الشيطان لزم ان يتكبر الانسان على ما سوى الله

الله لان المقصود من نهي عبادة الشيطان نهي عبادة ما سوى الله
فيكون النهي عن الشيطان تنبيه على عبادة غير الله لا يكون
الا بوسوسة الشيطان ولما قال اعبدوني لزم ان لا يتكبر
عليه قلنا ان التكبر المذموم ان يرى نفسه خيرا من غيره
فيوديه ذلك الى العجب والغرور واما التكبر بان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتنفر عن كل شيء سوى الحق
تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والاخرة جميعا مترفعا من
ان يشغله كل اسما عن الحق تعالى فهو ممدوح من المقامات
العالية فلا يصل الى ذلك المقام الا واحد بعد واحد فانه
الطالب في هذا المقام لا يرى نفسه خيرا لانه من جملة ما سوى الله
بل معنى التكبر على هذا المعنى غاية التواضع فانه لا ينقاد
لنفسه وحظها في التفوق على غيره فيتواضع ويرى نفسه
بهذا التكبر دون الفقير وفوق الامير ولقد اضل منكم

جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون والمقصود منه ما اتيكم
من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس فان قيل هذا بيان لعداوة
ابليس وعداوته مبيّنة من قبل بقوله تعالى انه لكم عدو مبين
فما الفايدة منه قلنا هذا انتقال الى الدليل الاوضح الذى
يتعلق الحس به واما الذى سبق فدليل معنوى معقول والمحسوس
اوضح معقول على المخصوص وقع عداوته فى مواضع كثيرة فيقارن
التجربة الى الحس فيجب ان يعلم عداوته من له ادنى عقل فمن لم
يعلم عداوته فى هذه المرتبة ليس له ادنى عقل فيستحق التفريع
والتهديد بقوله افلم يكونوا تعقلون فلذلك عدل عن الامر فى مقام
الامر الى الاستفهام الذى يدل عليهما يعنى قال افلا تعقلون فى مقام
اعقل هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون قول الله تعالى الم اعهد الى قوله بما كنتم تكفرون
قول الزبانية لاهل جهنم فى طريق جهنم وما سبق منه الى قوله

من جهنم الاية وقع منها فى هذه المرتبة من ابتداء المسافة الى قرب
جهنم ولما قربوا من جهنم ووقع الرؤية بل يتهيئون الى دخولها فقال
هذه جهنم التى كنتم توعدون والمقصود من تقريعهم وتقبيحهم
بهذه الاية حصول الندامة القوية التى توجب الالم الشديد مضافا
الى عذاب جهنم وفى قوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
ما يوجب شدة ندامتهم فانه امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك
انت العزيز الكريم وقوله اليوم يعنى ان العذاب حاضر ولذاتكم
قد مضت وقوله بما كنتم تكفرون ينبئ عن نعمة كان فكفر بها
وحياء الكفور من المنعم من اشد الالام وكثيرا ما يقول المجرم
افعلوا بى ما يؤمر ولا تحضرونى بين يديه كما قيل اليس بكاف
لذى همة حياء المسئ من المحسن واعلم ان الاضلال يكون
على وجهين الاول ان يبعدهم الشيطان عن المقصد وهو
التوحيد بان يامر بترك عبادة الله ويامر بعبادة غيره

والثانى من يعبد الله لامر غير الله من رياسة او جاه فهو
يفضى الى اعراض عن الله لان مقصوده لو حصل لترك الله
واقبل على الغير فيحصل القولية وحال الضال كشخص خرج
من وطنه مخافة عدوه فوقع فى مسبعة ولو اقام بوطنه لعل
العدو لم يظفر به او يرحمه كذلك حال من لم يتحرك بطاعة
والعصيان كالمجانين وحال من استعمل العقل فاخطأ
الطريق فان المجانين من اهل النجاة وان لم يكن من اهل
الدرجات والبله ادنى واقرب الى الخلاص من فطانة
بتراء اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون وجه النظم انهم اذا سمعوا بما كانوا
يكفرون ويريدون انكاره فيختم الله على افواههم ولا يقدرون
عليه وينطق جوارحهم فيعترفون بذنوبهم والشهادة
والتكلم اما بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها

او بانطاق الله تعالى اياها وفى الحديث انهم يجحدون
ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد
ارجلهم فان قيل يفهم من بعض الاية الاعتراف منهم
الى ذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم ومن بعضها الجحود
كما ذكر هنا قلنا صدر فى بعضهم الاعتراف ومن بعضهم
الجحود فلا يرد الاشكال وهنا لطائف الاولى انه اسند الختم
الى نفسه والكلام والشهادة الى الايدى والارجل لانه لو قال
نختم وتنطق لاحتمل ان ذلك كان منهم جبرا والاقرار
جبرا لا يفيد فقال تكلمنا وتشهد اى باختيارها بعد
ما يقدرها الله ليكون ادل على انهم اذنبوا الثانية
انه جعل الشهادة للارجل والكلام للايدى لان الافعال
تسند الى الايدى قال وما عملته ايديهم اى وما عملوا وقال
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اى بانفسكم فاذن الايدى

كالعاملة والشاهد ينبغي ان يكون غيره فجعل الابصار والجلود
من جملة الشهود لبعدها عن اضافة الافعال اليها الثالث
ان من يقبل شهادته يوم القيمة ان كان من المقربين والصديقين
فكلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو مقبولة وغير الصديقين
كفار او فسقة فجعل الله الشاهد عليهم منهم فان قلت الايدي
والارجل ايضا فسقة صدر منها ذنوب قلنا رد شهادتها
قبولها لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم فقد اذنبت فيه
والمذنب فيه مع ظهور الامور لا بد من كونه مذنبا في الدنيا
وان صدقت فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كمن قال
لفاسق ان كذبت في هذا النهار فعبدي حر فقال الفاسق
كذبت فيه عتق العبد لانه ان صدق فقد وجد الشرط وان كذب فقد كذب
في نهار ذلك فقد وجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال في اليوم
الثاني كذبت في يوم التعليق فانه لا يعتق الرابع الختم

في الدنيا على قلوبهم وفي الآخرة على افواههم فحين كان
الختم على القلوب كان قولهم بافواههم كما قال ذلك
قولهم بافواههم ولما ختم على افواههم ايضا لزم ان يقولوا
باعضائهم لان الانسان لا يملك غير القلب واللسان والاعضاء
فاذا لم يبق القلب والفم تعين الجوارح ولو نشاء لطمسنا
على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء
لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا قيل في ارتباط
هذه الآية الى ما قبلها ان الصراط المستقيم بين الجبر والقدر
كلما ذكر الله تعالى متمسك الجبرية عقبه بما يتمسك به القدرية
وبالعكس فههنا لما قال وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
وقال اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ومثالهما من الآيات
يتمسك بهما القدرية لاسناده الكفر والكسب اليهم عقبه
ما يدل على انه بمشيئة الله لان الكفر يعمي البصير ويمسخه

اذا شاء اعماها كما انه اذا شاء طمس على اعينهم وسلب القوة
العقلية بعينه كما انه سلب الحسية بها حتى لو شاء لمسخ المكلف
بحيث لا يتحرك بيمنة ولا يسرة فاعماء البصاير عنده كاعماء
الابصار وسلب القوة العقلية كسلب الحسية فقوله ولو نشاء
لطمسنا اشارة الى انه شاء اعماء ابصارهم فضلوا وآية انه
لو شاء سلب قوة اجسامهم ومسخهم لما قدروا على تقدم وتلخي
ويمكن ان يقال في وجه الارتباط فكانه قيل ان الله لم لم ينتقم
الظالمين في الدنيا ايضا فقال ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
الاية ولم افعل فاخرت الى اجل مسمى لحكمة ومصلحة
قال جار الله فاستبقوا الصراط تقديره استبقوا اليه فغيه
حذف والمراد منه الابتدار وهو التبادر فاعمل اعماله
اي عدى الاستباق بلا حذف حرف الجر او تجعل الصراط
مستبقا لا مستبقا اليه اي يكون الصراط مسافة ولا يكون

طمس على اعينهم وسلب القوة العقلية بعينه كما ان سلب الحسية بها حتى لو شاء

منتهى المسافة على الاتساع او بالظرف ويقال استبقا
فسبقتهم فهو مبالغة في اهتداء الطريق كانه يقول
الصراط الذي هم عليه اذا طمس على اعينهم لا يبصرونه
فكيف اذا لم يكونوا عليه وانما قدم الطمس والاعماء
على المسخ والاعجاز ليكون الكلام مدرجا عقلية او حسية
كانه قال ان اعماهم لم يروا الطريق ولم يهتدوا اليه
فان قلت الاعمى قد يهتدي بامارات عقلية او حسية كالاصوات
والمشي قلت لهذا ارتقى وقال لو مسخناهم وسلب قواهم
بالكلية لا يهتدون اليه بوجه ما وقدم المضي على الرجوع
لان الرجوع اهون فان المضي لا يعرف عن سلوك الطريق
من قبل وسلوك طريق قد رأى مرة اهون فكانه قال
لا يستطيعون المضي ولا الاهون منه وهو الرجوع
وقيل اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن

ولا شق وهو معنى الطمس كما قال الله تعالى ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم كما اعمينا قلوبهم لو نشاء اعمينا
ابصارهم الظاهرة فاستبقوا الصراط فبادروا الى الطريق
فانى يبصرون اى كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم يعنى
لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون
فكيف يبصرون الى الطريق هذا قول حسن والسدى
وقال ابن عباس وعطا وقتاده معناه لو نشاء لفقأنا
اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم
من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون
ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى
مكانهم يريد لو نشاء قردة وخنازير فى منازلهم وقيل
لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود فى منازلهم لا ارواح
لهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون الى ما كانوا عليه

وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع ومن نعمره ننكسه
فى الخلق افلا يعقلون هذا استيناف وتعليل لما قبله
كانه قيل هل يقدر الله الطمس والمسخ فقال ومن يقدر
التنكيس يقدر الطمس والمسخ وقيل هذا قطع عذر
آخر وهو ان الكافر يقول ما لبثنا فى الدنيا الا يسيرا
ولم عمرتنا لم تجرمنا تقصيرا فقال الا تعقلون انكم كلما
دخلتم فى السن ضعفتم ولو عشتم مدة لادركتم
مقام العجز فيكثر تقصيركم كما قال اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر فضيعتم زمان الامكان ولو عمرناكم اكثر
لو صلتم الى زمان الازمان ومن لم يات بالواجب زمان
الامكان كيف ياتى به زمان الازمان قال اهل التحقيق
فى تفسير هذه الآية من عمره الله وذهب اوقاته بالغفلات ضيع
ولا يظفر بالمشاهدات فيلزمه نقص وضعف فى مبادى العبودية

والربوبية قال ابو بكر الوراق من عمره الله بالغفلة فان
الايام والاحوال يؤثر فيه قليلا قليلا من طفوليته وكهوليته
وشيبه الى ان يبلغ ما حكى الله عنه ومن نعمره ننكسه في الخلق
ومن احياه الله بالذكر فان تلوين الاحوال لا يؤثر فيه
فانه متصل الحيوة فحيوة الحق حى به ويقوم به قال الله تعالى
فلنحيينه حيوة طيبة وما علمناه الشعر وما ينبغي له وجه
النظم ان عادة القرآن انه كلما ذكر من الاصول الثلثه
اثنان ذكر الثالث وههنا سبق ذكر التوحيد بقوله
وان اعبدوني والحشر بقوله اصلوها اليوم فذكر الثالث
وهو الرسالة قوله وما علمناه اشارة الى انه معلم من عند الله
علم ما اراد ولم يعلم ما لم يرد وخص الشعر بنفي التعليم
مع انهم كانوا ينسبون الى السحر والكهانة لانهم كانوا
يقولون كاهن عند اخباره عن الغيوب وساحر عند اتيانه

مما لا يقدرون عليه كشق القمر وانطاق الحصاء شاعر
عند ما يتلوا القرآن وكان يتحداهم بالقرآن كقوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
ولم يقل وان كنتم في ريب من رسالته فانطقوا الجذوع
واخبروا بالغيوب فلما كان تحديه بالكلام نفى الشعر
عنه قوله تعالى وما ينبغي له اى لا يتاتى ولا يستهل والاحسن
ان يحمل وما ينبغي على ظاهره وهو ان الشعر لا يليق به
لانه يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالمتكلم
لفظه تبع للمعنى والشاعر بالعكس ولهذا قيل في تعريف
الشعر كلام الموزون قصدا الى وزنه قصدا اوليا ومن قصد
المعنى فصدر موزونا مقفى لا يكون شاعرا فقوله لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر وان كان موزونا
وكذا الحكيم اذا قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وبرح

الجواب عن قولهم انه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بيت شعر
وهو انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فانه ليس بشعر لعدم
قصده الى الوزن والقافية ويؤيده انا اذا تتبعنا كلام
الناس في الاسواق نجد فيه ما يكون موزونا روى عن قتادة
قال بلغني ان عايشة سئلت هل كان النبي عم يتمثل بشيء
في الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت
ولم يتمثل من الشعر الا ببيت اخي بني قيس ستبدي لك الايام
ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول
ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله
فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي ان هو الا ذكر وقرآن مبين
اي ذكر وموعظة قصد به المعنى والشعر كلام مزخرف
بالقافية والوزن قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر
لحكمة يعني يقصد الشاعر اللفظ فيوافقه معنى حكمي كما ان الحكيم

قد يقصد معنى فيوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب الوزن
لا يصير شاعرا والشاعر بسبب الذكر يصير حكيما حيث
يسمى شعره حكمة ونفى الله كون النبي صلى الله عليه وسلم
شاعرا وسره ان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ وروحه
فاذا وجد القلب فلا نظر الى القالب لينذر من كان حيا
اي فهما عاقلا فان الغافل كالميت او حي القلب فان من لم يؤثر
الانذار فلم يؤمن لا يكون قلبه حيا بل هو ميتا او حيا في علم
الله فينذره فيؤمن به وحيا في نفس الامر والواقع فعلى هذا
يكون الانذار عاما لمن يؤمن ومن لا يؤمن قوله ويحق القول
على الكافرين يؤيد معاني الاولى الثلثة لذكر الحي في مقابلة
الكافرين واما على المعنى الرابع وهو كون المراد من الحي
ما هو الحيوة التي يكون في مقابلة الموت كما هو المتبادر المشهور
فمحمول على ان الانذار لا يؤثر الى جميع الانسان فمن لم يؤثر

الانذار يجب كلمة العذاب عليه التي معنى قوله تعالى ويحق
القول على الكافرين فان العذاب قوله ولكن حق القول مني
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قال وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا فاذا جاء الرسول حق التعذيب على من
وجد فيه التكذيب قال المحققون في قوله لينذر من كان
حيا اي لمن كان عارفا بالله وصفاته عاشقا بوجهه
مشتاقا الى لقائه بالنظر والفهم عنه والسلام عليه
قال الجنيد الحي من يكون حيوته بحيوة خالقه بقاء
هيكله ومن يكون بقاؤه ببقاء نفسه فانه يميت في وقت حيوته
ومن كان حيوته بربه كان حقيقة حياته عند وفاته
لانه يصل بذلك الى رتبة الحيوة الاصلي قال الله لينذر
من كان حيا اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
انعاما واعلم ان الله تعالى اعاد الوحدانية ودلايلها وذكر

الايدي اشارة الى عمل من غير معين والظهير وقيل
اسناد العمل اليها استعارة يفيد مبالغة في الاختصاص
والتفرد بالاحداث خص الانعام بالذكر لما فيه من بدايع
الفطرة وكثيرة المنافع فهم لها مالكون اشارة الى اتمام
الانعام فانه لو لم يملكها لنا ما كنا ننتفع بها وذللناها لهم
زيادة انعام فانه لو خلقها نادة لم يتم الانعام في الركوب
وان كان يحصل الاكل كما في الحيوانات الوحشية بل ما كان
يتم به نعمة الاكل ايضا الا بالتعب ولعل الاصطياد لا يتهيا
للبعض وفي البعض فمنها ركوبهم ومنها ياكلون بيان منافع
التذليل ثم بين غيرهما من الفوائد بقوله ولهم فيها
منافع ومشارب لان فيها ما لا يركب كالغنم فقال المنافع
والمشارب يعمها ان قلنا انها الاواني فانها تتخذ من الجلود
وان اريد المشروب فهو مختص بالاناث لكنه بسبب الذكور

لتوقفه على الحمل ثم قال افلا تشكرون هذه النعم التى
يوجب العبادة ولو شكرتم لزادكم من خصلة وان كفرتم
يسلبها منكم فما لكم لا تشكرون استدامة لها واستزادة
منها واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون
اى زاد ضلالهم اذ كان الواجب عبادة شاكر الانعام او لرؤيتهم
القدرة الباهرة المتفردة فيه بحيث لا يليق ان ينظر الى غيره
فى آن ولحظ لعجز ما عداه محتاجا اليه فتركوا النافع
القادر الى جميع مرادهم واقبلوا على عبادة من لا يضر
ولا ينفع وتوقعوا نفعهم مع انهم محتاجون اليهم
وانهم ناصرون لهم كما حكى عنهم حرقوه وانصروا آلهتكم
قوله وهم لهم جند محضرون اشارة الى الحشر ونحوه
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله

ويحتمل ان يكون العابدون جند لما اتخذوا آلهة وان يكون
الاصنام جندا للعابدين فانه لما قال لا يستطيعون نصرهم
اكدها بانها لا يستطيع نصرهم حال ما تكون جندا لهم
وتحضر لنصرتهم فانه دل على عدم الاستطاعة فان
من تأهب واجتمع ثم عجز يكون فى غاية الضعف بخلاف
من لم تتأهب ولم يجتمع انصاره قال ابن عباس لا تقدر
الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند
محضرون اى الكفار جند للاصنام يغضبون لها
ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق لهم ولا يستطيع لهم
نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله
ومعه اتباعه الذين عبدوه كانهم جند محضرون فى النار
فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اى
لا يحزنك قولهم فى حق الله فى الالحاد والشرك وفى حقك

بالتكذيب والتعجيب لانا نعلم قولهم سرا كان او جهرا فنجازيهم
يوم القيامة جزاء وفاقا وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة لما تمسك بدليل
من الآفاق على وجوب عبادته ذكر آخر من الانفس فقال
اولم ير الانسان الاية قال في دليل الآفاق اولم يروا واراد
الكافرين المنكرين التاركين عبادته وعلى هذا فقوله اولم
ير الانسان اعم منه لانه يعم جنس الانسان والاول مع جمع
منهم وسببه ان دليل الانفس اشمل واتم والزم فان الانسان
قد يغفل عن كل شيء ولا يغفل عن نفسه فقال ان غاب
من الحيوان وخلقه فلا يغيب عن نفسه فما له لا يومن الم
انا خلقناه من نطفة يعني لو خلق من اشياء مختلفة صور
لامكن ان يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من رخو
وكذا الحال في كل عضو ولما خلق من نطفة متشابهة

الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة
فاذا هو خصيم مبين اي خلقه مما ذكر آية ظاهرة وفيه
ما هو اظهر وهو نطقه وفهمه فهب ان النطفة استحالت
جسما آخر لكن القوة النطقية والفهم من اين فابداع
النطق والفهم اعجب والى ادراك القدرة والاختيار منه
اقرب وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه اعلى احوال
الناطق فانه مع نفسه لا يتبين كلامه كما يتبين في التكلم
مع غيره خصوصا اذا خاصمه واختار المبين لانه عند
الافهام لعلي درجة فقوله من نطفة اشارة الى ادنى ما كان
عليه وخصيم مبين الى اعلى ما حصل عليه ونحوه ثم
خلقنا النطفة علقة الى قوله ثم انشاناه خلقا آخر
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه المنكرون للحشر منهم
من استبعده وهم الاكثرون كقولهم ءاذا ضللنا في الارض

أئنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
الى غير ذلك وههنا قال من يحيي العظام وهي رميم فبدء
بابطال استبعادهم بقوله ونسي خلقه من اى شئ انا خلقنا
من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي
الى الاقدام اعضاء مختلفة الصور والقوام واودعنا
فيهم النطق والعقل فان اكتفوا بالاستبعاد فهلا
يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة ويستبعدون
اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه ثم اكدوا الاستبعاد
بما في المعاد من التفتت واختاروا العظم للذكر لانه
ابعد عن الحيوة ووصفوه بالبلى والتفتت فاجاب بما
في المعيد من القدرة والعلم فقال ضرب لنا مثلا اي جعل
قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب ومنهم من ذكر شبهة
فقال بعد العدم لم يبق شيأ يصح الحكم عليه بالوجود واجاب

بقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة يعني كما خلق
الانسان ولم يك شيا كذلك يعيده وان لم يبق شيا
وقالوا من تفرق اجزاؤه في الشرق والغرب ودخل في ابدان
السباع كيف يجمع واذا اكل انسان انسانا وصار اجزاء
الماكول اجزاء الآكل فاجزاء الماكول ان اعيد الى بدن
الآكل لم يبق للماكول اجزاء يخلق منها وان اعيد الى بدن
الماكول منه ينقص اجزاء الآكل فابطله الله بقوله
وهو بكل خلق عليم ووجهه ان في الآكل اجزاء اصلية
واجزاء فضلية وكذا في الماكول وعند الاكل يصير اصلي
الماكول فضلي الآكل والاجزاء الاصلية لكل واحد
هي ما قبل الاكل والله بكل خلق عليم فيجمع الاجزاء الاصلية
من كل بدن وينفخ فيه الروح ثم عاد الى دفع استبعادهم
وانكارهم وعنادهم فقال الذي جعل لكم من الشجر

الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ووجه ان الانسان
جسم يحس به وحيوة سارية فيه فلا يستبعد واوجود
حيوة وحرارة سارية فيه فان النار في الشجر الاخضر
المائية المضادة للنار فيكون احداث النار في الشجر
الاخضر ابعد لما فيه احداث الشيء في ضده من اعادة
الطراوة والملاحة فيما كان طريا فيبس وبلى فاذا كان
الى خلق الاول قادرا كان الى خلق الثاني اقدر بلا شبهة
واعلم ان اعادة الاموات واحياءها بعد الاماتة اهون
واسهل من احياءها اول مرة لوجهين الاول ان الله تعالى
خلق آدم من تراب وهو معدوم ثم احدث التراب ثم خلق
منه آدم فمن قدر الى احداث مادة آدم من العدم
ثم خلق منه آدم فاعادته وابناؤه من العظام البالية
اسهل واهون لما فيه من المادة الحاضرة المستغنية

التنبيه الثالث الى ان الذي جعل لكم من الشجر الاخضر

عن احداث المادة والثاني ان فعل كل شيء اولا اصعب
من فعله ثانيا وهو مذكور في كل طبع ومجرب في الصنايع
فيكون احداث الانسان اولا اصعب من اعادته ثانيا
فمن جوز الاول واستبعد الثاني او عده محالا يكون له
خلل في طبعه واعوجاج في عقله فلا يجوز الخطاب له
والتكلم معه استدل الشافعي بقوله تعالى من يحيي العظام
وهي رميم على مذهبه من ان العظم يحس لحلول الحيوة
احياء
فيه لانه لا يمكن العظام الا بحلول الحيوة له والجواب عنه
بعد الجزم بالبداهة على عدم الحيوة في العظم ان معنى
احياء العظام المادة لحمه وطراوته كما كان قبل الموت
يدل عليه اذا كان من احياء العظام حلول الحيوة اليها
لا يتم المقصود به لانه لا يكفي في اعادة الانسان ذلك
بل لا بد من اعادة اللحم والعروق والاعصاب في العظم

والاذن واليد والرجل وساير الاعضاء بخلاف ما اذا
كان معناه اعادة الطراوة الاصلية والهيئة المتقدمة
لتمام المقصود فيه اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم اشارة الى دليل قوي لا يمكن
انكاره لمن له ادنى مسكة للالزام على منكري الحشر والاعادة
وهو ان الله قادر عليه يكون قادرا على خلق الاكبر
لا يمكن انكاره وهو خلق السموات والارض والقادر عليه
يكون قادرا على الاصغر اولى بالطريق ولقائل ان يكون
ان المحققين قالوا العالم الكبير هو الانسان لوجود
ما في العالم فيه ولم يوجد بعض ما وجد فيه في العالم فيكون
الانسان اكبر في التحقيق من السموات والارض والجواب
عنه لعل هذا نظروا الى الظاهر والصورة الزاما للخصم
بعد الادلة التحقيقية والبراهين القوية فانه ينظر

الى الظاهر والصورة في الكبر والصغر ولم يكن له نصيب
من الامور الباطنة والدقايق الخفية وكثيرا ما يقع كلام
على اعتقاد العرب وان لم يكن في الواقع كذلك وقدم ذكر
النار في الشجر على الخلق الاكبر لانهم صرحوا بانكار الاحياء
ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها والنار في الشجر يناسب الحيوة
او للاشارة الى قوة الاول في كونه دليلا الى قوته على احياء
الموتى لانه يمكن ان يقال تجوز ان يكون في الصغر حال لا يكون
في الاكبر كما قررناه سابقا وان كان مندفعا بلى وهو الخلاق
العليم قوله بلى لتقرير القدرة على خلق مثلهم لان معناه
لتقرير ما بعد النفي قوله وهو الخلاق العليم اشارة الى كمال
القدرة والعلم وهو تاكيد لبلى واظهار لمعناه انما امره اذا
اراد شيا ان يقول له كن فيكون هذا يحتمل ان يكون استينافا
من قوله خلق السموات والارض او من قوله وهو الخلاق العليم

كانه يقال كيف يكون خلق الله فاجاب اذا اراد الله شيأ و بحتمل
اظهار فساد تمثيلهم حيث ضربوا لله مثلا قياسا للغايب على الشاهد
فان التاثير في الحاضر بالآلات والادوات وانتقالات مكانية
وازمنة ممتدة فعلى هذا زعموا ان العظام النخرة لا يقبل
التاثير للاحداث فحصل لهم الجراءة الى ارتكاب الالفاظ الصادرة
عن جهل قدرة القادر المطلق فاجاب عنه انما يكون ايجاد جميع
الاشياء بقوله كن فيكون من غير احتياج الى مادة ومدة فكيف
تضرب المثل الادنى وله المثل الاعلى قالت المعتزلة الاية تدل
على ان المعدوم شيء لانه قبل ان يقول له كن لا يكون وهو
في تلك الحالة شيء لقوله اذا اراد شيا قلنا اراد بيان عدم
تخلف الشيء عن تعلق ارادته به والاية تدل على ان المراد شيء
عند تعلق الارادة لا قبله فالشيء هو الموجود لا المعدوم فان قلت
كيف يريد الموجود فيه ايجاد الموجود قلنا جواب في المعقول

وغرضنا ابطال التمسك باللفظ فظهر ان المفهوم انه يريد ما هو
شيء اذا اراد لا انه اذا اراد ما كان شيا وقال الكرامية له
ارادة محدثة فان اذا ظرف زمان وكل زمان حادث وايضا
وصل ارادته بكن وكن متصل بكون الشيء ووقوعه لذكره
بالفاء لكن الكون حادث وقبيله ايضا حادث والفلاسفة
قالوا ارادته متصلة بامره وامره متصل بالكون لكن ارادته
قديمة فالكون قديم والجواب ان مفهوم اراد ويريد وعلم ويعلم
يدخله الحدوث وانما يقول لله صفة قديمة على الارادة واذا
تعلقت بشيء يقال اراد ويريد وقبل التعلق لا يقال اراد
ويريد وانما يريد ارادة وهو بها مريد ونحوه الخياط فانه
خياط صدرت منه خياطة اولا لكن اذا صدر يقال خاط ويخيط
فافهم منه ان الارادة امر ثابت ان تعلقت بشيء يقال اراد
وهو المعنى من قول اهل السنة ان تعلق الارادة حادث وهي

بد جواب الفريقين قال المعتزلة والكرامية كلام الله حرف وصوت
وحادث والجواب ان الكلام صفة قديمة اذا تعلقت بشئ
يقال قال ويقول فتعلقه هو الحادث وقوله اذا اراد شيئا
ان يقول له فيه تعلق واضافة واللام للاضافة وهو صريح
فى التعلق فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون لما
ثبت وتحقق ان جميع الاشياء فى الارض والسماء وما بينهما و نفسيهما
من الحيوانات والنباتات والجمادات والليل والنهار والشمس
والقمر مخلوق الله تعالى فيكون فى يده تصرف كل شئ وخلقه
على مقتضى حكمته فيلزم ان لا يكون للقادر بهذه القدرة التامة
شريكا ولانه ان جميع ما سواه مخلوق فلا يكون المخلوق شريكا
للخالق وايضا يدل بها الدلالة القطعية ان المتصف بهذه القدرة
الكاملة لا يعجز عن الاعادة بعد الاماتة فوقع عليه قوله فسبحان الذى
بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون فتعالى وتنزه عن التشريك

والعجز عن الاعادة من يتصف بهذه القدرة الكاملة
والملكوت مبالغة فى الملك وهو فعلول او فعلوت
من قال فعلول جعله ملحق ترقوة نعم قال ان لكل
شئ قلبا وقلب القرآن يس فقال الغزالى رحمه الله فيه
لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر وهو مقرر فى هذه
السورة بابلغ وجه واستحسنه ابو الامام رضى الله عنه
وسمعته ينبغى حمله عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان يقال
هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلثة باقوى
البراهين فابتداؤها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين
ودليلها قوله والقرآن الحكيم اولا وقوله لتنذر آخرها
بيان الوحدانية والحشر بقوله فسبحان الذى بيده
ملكوت كل شئ واليه ترجعون وليس فى هذه السورة
الا هذه الاصول ودلايلها وتوابعها وحصل من القرآن

الا هذه الاصول حصل نصيب قلبه واما وظيفة اللسان
فقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقوله قولا سديدا
وقوله ومن احسن قولا وقوله بالقول الثابت والزمهم كلمة
التقوى واليه يصعد ووظيفة الاركان اقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس واعملوا صالحا
وهذه الاحكام قد وردت في سورة اخرى وفي هذه السورة
لما لم يكن غير اعمال القلب سماه قلبا ولهذا ورد انه عليه السلام
ندب الى تلقين سورة يس لمن دنا منه الموت وقراءتها عند
راسه اذ يضعف اللسان ويسقط القوة هناك ولكن القلب
قد رجع الى الله واقبل على الاصول الثلثة وهو شغله واسرار
كلام الله وكلام رسوله لا يعلمها الا الله ورسوله وما ذكرناه
ظن لا يقطع به ونرجو الله ان يرحمنا وهو ارحم الراحمين قال
المحققين في هذه الآية تنزيه الله عن النقايص الحدثية

لا شريك له في ملكه من قدرته بدء الاشياء وقدرته رجوع
الاشياء وقدرته قال الحسين ابداع الاكوان كلها بقوله
كن اهانة لها وتصغيرا ليعرف الخلق اهانتها ولا يركنوا
اليها ويرجعوا الى مبدءها ومنشاها فيشغل الخلق زينة
الكون فتركهم معه فاختار من خواصه خصوصا
اعتقهم من رق الكون واحياهم به فلم
يجعل للعلل عليهم سبيلا وله
للآثار عليهم طريقا هذا
آخر ما تيسر لنا من
تفسير يس بعناية الله
وتوفيقه وهو حسبي
ونعم الوكيل
تم

٨٥ ورقه

١